

# الشرح المستطاب

بشرح منظومة الألبيري في الآداب

لفضيلة الشيخ

إبي عبد الرحمن بن علي الجوزي

محفوظ  
جميع الحقوق

الطبعة الأولى



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### المقدمة

الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:

١٠٢]. ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا

كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ

لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

### أما بعد:

فقد حفظ الولد: إبراهيم **حفظه الله** هذه المنظومة الطيبة، وسيقرؤها، ويحسن جعل تعليقاً عليها؛ لمزيد فهمها؛ فمنظومة أبي إسحاق الألبيري منظومة رائعة جيدة، في الحث على العلم، وفي الآداب التي يحتاج لها الطالب، والعناية بتأديب

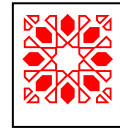
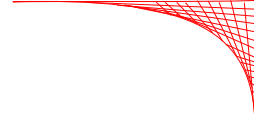
الأبناء عناية مهمة، فأنصح نفسي وإخواني السامعين، من كان له قدرة يُعَلِّم فيها بقليل أو كثير، أن يعتني بتعليم الأدب.

ومن الأدب: الأذكار، ومن الأدب: الخلق، وحسن الجوار، وبر الوالدين، وقبل ذلك: توحيد الله، وتلك الآداب تعطي الناشئ مَكَنَةً في الخُلُق الحسن، وَمَكَنَةً في التهذيب، كذلك مَكَنَةً في التربية الصحيحة لنفسه، ولأهله، وليته، ولأسرته، ولمجتمعه، تُعْطِيهِ مَكَنَةً وخَلْفِيَّةً طَيِّبَةً في الاستقامة.

ومن نماذج تلك الآداب: الآداب التي تتضمنها "لامية ابن الوردي"، و"منظومة أبي إسحاق الألبيري"، و"الأدب المفرد" للإمام البخاري، و"جامع بيان العلم وفضله"، و"الفقيه والمتفقه" للخطيب، و"مقدمة سنن الدارمي"، و"مقدمة سنن ابن ماجه"، و"مقدمة شرح المذهب" للنووي.

هذا وقد قام بتفريغ مادتها الصوتية أخونا عبد الماجد أبو المجد بن محمد جزاه الله خيرا، وهذا نصها، وبالله التوفيق.





## بيان حال الإنسان في هذه الحياة الدنيا

قال الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن مسعود التَّجِيبِي الغرناطي الألبيري رحمته الله المتوفي سنة ٤٦٠ للهجرة، وهي مئة واثنان عشر بيتاً أشار إليها الناظم في آخرها بقوله:

وقد أردفتها ستاً حسانا      وكانت قبل ذا مئة وستاً  
يقول فيها رحمته الله :

(١) تَفْتُ فُؤَادَكَ الْيَّامُ فَتًّا      وَتَنْحِثُ جِسْمَكَ السَّاعَاتُ نَحْتًا

يشير بهذا إلى أن الإنسان في هذه الحياة الدنيا يمر بساعات، ودقائق، وأيام، وهموم، وقلاقل تعترضه؛ فهي تَفْتُ فُؤَادَهُ.

والفؤاد هو القلب، قال تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]، وتَرِدُ هذه الأمور على القلب، فهو بمنزلة الملك في قومه، ويدل على ذلك قوله رحمته الله: «أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ» متفق عليه من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه.

فلهذا الأيام وما فيها من خطوب، وكروب، ومشاكل، وقضايا، وهموم، وأحزان، تَرِدُ كلها على هذا القلب، فإذا وصلت إلى القلب اهتم وحزن لها،

وَالْهَمُّ وَالْحَزَنُ يُتَعَبُهُ إِلَى أَنْ يَضْعَفَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ [الروم: ٥٤].

وكذا يحصل في الجسم نَحْتُ، فربما يكون وزن الجسم جيّداً، فإذا تعب ضعفت قواه؛ ضعف جسمه، كالذي ينحت منه، وتوالت عليه الأمراض حتى ينحل، فهو بدأ بهذه المقدمة، ليبين لك -أيها الإنسان- أنك في أي حال في هذه الحياة الدنيا لا بد أن تعترضك أمور:

ثمانية لا بد منها على الفتى      ولا بد أن تجرى عليه الثمانية  
سرور وهم واجتماع وفرقة      وعسر ويسر ثم سقم وعافية  
وهذه كلها واردة على القلب، ولا بد أن تنحت جسمك، ومصيرك إلى الله سبحانه وتعالى؛ فاستعد لذلك.



## بيان أن الموت ليس منه مفر

قال الناظم رحمته الله :

(٢) وَتَدْعُوكَ الْمُنُونُ دُعَاءَ صِدْقٍ  
أَلَا يَا صَاحِبَ: أَنْتَ أُرِيدُ أَنْتَا

معناها: أنت في هذا الحال لا تركز إلى قوتك، ولا إلى مكانتك، ولا إلى سعة مالك، ولا إلى جاهك، أنت مهما كنت فيه فالْمُنُونُ بعدك، والموت آتيك، قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [آل عمران: ١٨٥] «أكثرُوا ذكر هادم اللذات»، وهكذا الذي يدعوك يعني: الذي هو آتيك، وأنت مدْعُوٌّ إليه؛ فليس منه مفر، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجمعة: ٨]، وهو دعاء صدق لا مفر منه لأحد حي إلا الله سبحانه وتعالى، قال رحمته الله: «أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، وَالْجَنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ». أخرجه البخاري رقم (٧٣٨٣) ومسلم (٢٧١٧) واللفظ له.

ف (أَنْتَ أُرِيدُ أَنْتَا): أي: ما من أحد إلا وهذا الخطاب موجه إليه من المخلوقين أن المنون آتٍ له، (أنت أريد أنت): أنت المقصود، طال عمرك أو قَصُرَ، ما لك مفر من ذلك.



## اتخاذ الصالحين الدنيا ممراً للآخرة

قال النازم رحمه الله :

(٣) أَرَاكَ تُحِبُّ عِرْساً ذَاتَ خِدرٍ أَبَتَ طَلَاقَهَا الْأَكْيَاسُ بَتّاً

يعني الدنيا، أراك تحب الدنيا التي تزينت كعرس ذات غدر، **(أَبَتَ طَلَاقَهَا)** **(الأكياس بَتّاً)** أي: الكيسون الصالحون «الْكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ»، كما جاء في حديثٍ حَسَنَه بعض العلماء من طريق أبي بكر بن أبي مريم ولكن له أصول.

وهكذا قول النبي ﷺ: مَنْ أَكَيْسُ النَّاسِ؟ قَالَ: «أَكْثَرُهُمْ ذِكْراً لِلْمَوْتِ»، فـ: **(أَبَتَ طَلَاقَهَا الْأَكْيَاسُ بَتّاً)** أي: الصالحون الفطنون، ما بَالُوا بهذه الدنيا التي الناس ينبهرون بها بنظر إعجاب وانبهار، أَبَتُوا طَلَاقَهَا، وأقبلوا على الله سبحانه وتعالى، كما قال الشافعي رحمه الله - فيما يُعزِّي إليه -:

إِنَّ لِلَّهِ عِبَاداً فُطِنَا  
نَظَرُوا فِيهَا فَلَمَّا عَلِمُوا  
تَرَكَوا الدُّنْيَا وَخَافُوا الْفِتْنَا  
أَنَّهَا لَيْسَتْ لِحَيٍّ وَطْنَا  
جَعَلُوهَا لُجَّةً وَاتَّخَذُوا  
صَالِحَ الْأَعْمَالِ فِيهَا سُلْفَا





## التحذير من الغفلة

قال الناظم رحمه الله :

(٤) تَنَامُ الدَّهْرَ وَيُحَكِّ فِي غَطِيطٍ      بِهَا حَتَّى إِذَا مِتَّ انْتَبَهَتْهَا

يقول: أنت الآن في غفلة، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق: ٢٢] يعني أنت نائم ولكن تنبّه بعد الموت، فالكافر إذا مات يقول كما في الآية: ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ ۚ ۝١١ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ [المؤمنون: ٩٩-١٠٠] لأنه كان في سكرة وغفلة ونومة.

وهكذا (تنام الدهر): أي تستمر على ذلك، وقوله: (ويحك)، قد يكون للترحم، ونحوه للعتاب، و(في غطيط) أي: في شدة الغفلة، قال تعالى: ﴿أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ۝١ مَا يَأْنِيهِمْ مِّنْ ذِكْرِ مِّنْ رَبِّهِمْ تُحَدِّثُ إِلَّا أَسْمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنبياء: ١-٢].

فالغفلة تسبب السهو، وتجعل المرء لا يبالي بأيامه، ولا بساعاته، ولا بأوقاته، وتجلب المعاصي للإنسان، ولا يلتفت إلى أوامر الله ونواهيه، كما هو شأن الغايط في نومه لا يعلم شيئاً، كذلك الغافل في وادٍ سحيق، الناس في وادٍ وهو في وادٍ آخر، حتى يبطشه الموت وهو غافل عن ذلك، قال تعالى: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتِي عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ ۝٥٦ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ۝٥٧ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَىٰ الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً

فَأَكُونُ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَاءَ تِلْكَ ءَايَتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ [الزمر: ٥٦ - ٦٠].

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْرِطُونَ﴾ [الأنعام: ٦١].

وكذلك أيضا: «إِنَّ اللَّهَ لَيَمْلِكُ لِلظَّالِمِ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ»، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخَذُوا مِنْ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخَذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢]، فيكون في غفلتها؛ فيمتلئ معاصي، وكذلك لا يبالي بطاعة الله؛ فيؤخذ على غرة، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ [٤٤] فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٥﴾ [الأنعام: ٤٤ - ٤٥].

**فقوله: (تنام الدهر):** ليس معناها هذا النوم النعمة، بل معناها الغفلة فهي نومة سحيقة بعيدة، تلقيه في مهاوٍ، وينتبه بعد فوات الأوان.



## الحث على الزهد

قال النازم رحمه الله :

(٥) فَكَمْ ذَا أَنْتَ مَخْدُوعٌ وَحَتَّى مَتَى لَا تَرَعَوِي عَنْهَا وَحَتَّى ؟

هذه الأبيات موضوعها الزهد من قوله: (أراك تحب عرس ذات غدر) إلى قوله: (متى لا ترعوي عنها وحتى)، يعني مخدوع بالدنيا مغرور بها وهذا قد حذر منه النبي ﷺ: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ» وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ، يَقُولُ: «إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ»<sup>(١)</sup>.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا ذُبَّانِ جَائِعَانِ أُرْسِلَا فِي غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ الْمَرْءِ عَلَى الْمَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ»<sup>(٢)</sup>، أي لا تفسد دينك ولا تنخدع.

فمن الناس من ينخدع بامرأة جميلة؛ وتُضَيِّعُ عليه دينه، من حيث أنه تبعده عن طاعة الله، سواء زوجة أم غيرها، ومن الناس من ينخدع بمال يبعده عن دينه، قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتْنًا كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُضْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا، وَيُمْسِي كَافِرًا - أَوْ: يُمْسِي مُؤْمِنًا، وَيُضْبِحُ كَافِرًا - يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا». أخرجه مسلم.

(١) أخرجه البخاري عن ابن عمر رحمه الله .

(٢) من حديث كعب بن مالك؛ أخرجه الترمذي رقم (٢٣٧٦) وأحمد (٤٥٦/٣) وهو حديث صحيح خرج في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين" لشيخنا رحمه الله ولم يذكر لكعب بن مالك فيه غير هذا الحديث .

وهذا من الانخداع بها، أو من ينخدع برتبة، أو بمنصب، أو بجاه يبعده عن طاعة الله، أو بولد، ما أبعدك عن طاعة الله فهو مخادع لك، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا لَّهُمْ كُرْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (٩) وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ (١٠) وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿[المنافقون: ٩ - ١١].

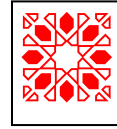
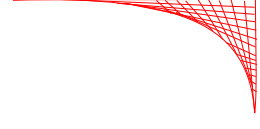
فكم أنت مخدوع أيها الإنسان بهذه الدنيا المغرية، وبهذه الفتنة، قال ﷺ: «إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةً، وَفِتْنَةُ أُمَّتِي الْمَالُ» رواه الترمذي.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضُرَّ عَلَى أُمَّتِي مِنَ النِّسَاءِ عَلَى الرَّجَالِ» (١). فهي فتن كثيرة ينخدع بها الإنسان، هذا عين الانخداع، حتى إن الكافر يوم القيامة يتهم عقله بأنه كان لا يعقل، كما في الآية: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ (١٠) فَأَعْرِفُوا بِذُنُوبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿[الملك: ١٠ - ١١].

وهو يقول: «متى لا ترعوي»، فقد يكون في الستين والسبعين، فمتى لا ترعوي؛ فقد يحصل لك في الشباب شيء من الغواية، فبلغ بك العمر إلى الستين والسبعين، وأنت لا زلت طائشا في الدنيا، لا هيا وراءها، مائلا إلى الغوى، متى لا ترعوي! حتى تصير إلى قبرك!

وتقول: ارجعوني لعلّي أعمل صالحا فيما تركت! متى لا ترعوي عنها وحتى!

(١) أخرجه البخاري (٥٠٩٦) ومسلم (٢٧٤٠) من حديث أسامة بن زيد رضى الله عنه .



## التأسي بالصالحين في بذل النصيحة النافعة

قال النازم رحمه الله :

(٦) "أَبَا بَكْرٍ دَعَوْتُكَ لَوْ أَجَبْتَا إِلَى مَا فِيهِ حَظُّكَ لَوَعَقَلْتَا

أبو بكر هذا؛ محتمل أن يكون أحد تلامذته، وبعضهم يقول: هو ولده.

فهو أعطى نصيحة لولده وللناس على سياق نصيحة لولده.

فعادة الصالحين العناية بأبنائهم وتربية أبنائهم التربية الصحيحة والوصايا والنصائح، ولك في لقمان أسوة، يا بني أقم الصلاة، يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل، لا تصغر خدك للناس، واقصد في مشيك، واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير، وصايا عظيمة من لقمان عليه السلام لولده، وهكذا يعقوب لأولاده كما في الآية: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَاللَّهُ ءَابَاؤُكُمْ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهُهَا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٣] .

وهكذا يتعاهد تربيتهم، فالنبي ﷺ قال للحسن: «كَيْفَ كَيْفَ»<sup>(١)</sup>؛ إنا لا نأكل الصدقة»، ويتعهد أدبه وعفته، ويعلمه الحلال والحرام في صغره كما في رواية في الصحيحين أن النبي ﷺ قال له: «إنها لا تحل لنا الصدقة».

فبني الله ﷻ علم الحسن في تلك السن أنها لا تحل لنا الصدقة، أي هذا حرام لا يجوز لبني هاشم أكل الصدقة.

**وقوله: (دعوتك لو أجبت) فيه الاعتناء بهذا الولد (إلى ما فيه حظك) أي** الحظ الطيب المفيد النافع، إلى ما فيه حظك العلمي والأدبي والخُلُقِي، وحظك في العقيدة الصحيحة، وفي مكارم الأخلاق. فهو يبين له أن دعوته له نافعة، اذكر أنت هذا لولدك: يا ولدي ما أريد لك إلا الخير، وأدعوك إلى ما فيه شرفك ومكرمتك؛ حتى تغرس في داخله الخير، فهو مسكين، فقد يظن من يوحى إليه بأخبار أو دنيا بأن أباه يريد أن يبعده عنها، ولا يريد له هذه النعمة من الألعاب التي يريدها وغيرها، فأنت ذكّره بأن نصائحك له أفضل، قد تنفعه هذه ولو بعد حين.



(١) قال النووي رحمه الله: هي كلمة زجر للصبي عن المستقذرات.

## ذكر بعض فضائل العلم النافع

قال الناظم رحمته الله :

(٧) إِلَى عِلْمٍ تَكُونُ بِهِ إِمَامًا مُطَاعًا إِنْ نَهَيْتَ وَإِنْ أَمَرْتَ

يعني من دعوته لأبي بكر هذا لو أجابه وامثل لنصحته، أنه دعاه إلى أمر مهم جليل، إلى العلم دعاه، وهذه الدعوة دعى إليها أنبياء الله، دعى إليها رسول الله ﷺ، ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]، وقد أرسل الله الرسل وأنزل الكتب لتعليم الناس، إلى علم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ،

(تكون به إماماً): ولا تكون إماماً إلا بالدين، ما دعاه إلى علم الجغرافيا، والفيزياء، والكيمياء، والكلام، ولكن دعاه إلى علم خاص، علم الجنة، إلى علم نافع يكون به إماماً، كيف يكون إماماً بأشياء دنيوية؟! قال تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَفْلُونَ﴾ [الروم: ٧] فهو ما دعا ولده إلى تلك الأشياء الدنيوية، دعاه إلى علم نافع، علم الكتاب والسنة، تكون به إماماً، بدليل قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].

فهو يقول له تكون بهذا العلم -الكتاب والسنة، إن قبلت نصحي، وسلكت هذا المسلك- تكون قدوة، إماماً في الدين، إماماً في الصلاة، إماماً في العلم،

والفتوى، إمامًا إلى ما يحتاجه الناس، فالناس يتخذون هذا إمامهم: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رَجُلًا لَا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٧].

**وقوله (مطاعا):** هذا شأن علماء الهدى أن الناس يطيعونهم في أمر الله وأمر رسوله ﷺ ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]، فأولو الأمر في التفسير هم العلماء والأمراء، فيطاعون في طاعة الله، «إنما الطاعة بالمعروف»، و«لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»<sup>(١)</sup>، فيطاعون والناس تجدهم حولهم؛ للانتفاع وطاعتهم بذلك ونصحهم وتوجيههم، وهذا هو سلامة الناس وهداية الناس أن يعيشوا بين أيدي أئمتهم.

**(مطاعا إن نهيت وإن أمرت):** ماهي مجرد أوامر ونواهٍ عسكرية، لا، بل أَمَرَتَ بدين الله، ونصحت، ووجهت، وما كان من ذلك، فكم كان عند ابن المبارك، ويزيد بن هارون، والأوزاعي، وسفيان الثوري، وسفيان بن عيينة، وحماد بن سلمة، وحماد بن زيد، ومن أمثال هؤلاء، وكلهم يأخذون، ومنهم من كان له مذهب يأخذون مذهبه، ومنهم من يكون له كتب ينتفعون بكتبه، ويأخذون من ذلك العلم، وينفعون ويتفعلون.



(١) أخرجه البخاري (٧٢٥٧) ومسلم (١٨٤٠) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه .



قال الناظم رحمه الله :

(٨) وَيَجْلُو مَا بَعَيْنِكَ مِنْ غِشَاهَا وَيَهْدِيكَ السَّبِيلَ إِذَا ضَلَلْتَا

يصف العلم أنه يجلو غشى العين، وبأنه يهدي السبيل، وهذه أوصاف في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ كثيرة قال ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَنْذَرُكَ أَوَّلُ الْأَلْبَابِ﴾ [الرعد: ١٩].

فالذي على علم مبصر، والذي على جهل أعمى، والذي يكون على علم يسير على نور، قال تعالى: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُينَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

وقال تعالى: ﴿وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ﴾ (١١) وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ [فاطر: ٢١ - ٢٢].

هذه كلها أمثلة لنفوذ البصر والبصيرة، وكذلك هداية السبيل، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الاسراء: ٩].

وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ أَنْ كَتَبَ لَإِبْرَاهِيمَ فِيهِ هُدًى لِلنَّاسِ﴾ [البقرة: ٢]، وقال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ (١٥) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٥ - ١٦]، فعلم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ علم هداية.

وفي الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ مَثَلَ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ، كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ قَبِلَتِ الْمَاءَ، فَأَنْبَتَتِ الْكَلَّا وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ، فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا مِنْهَا وَسَقَوْا وَرَعَوْا، وَأَصَابَ طَائِفَةٌ مِنْهَا أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قَيْعَانٌ؛ لَا تُمْسِكُ مَاءً، وَلَا تُنْبِتُ كَلًّا، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقَهُ فِي دِينِ اللَّهِ وَنَفَعَهُ بِمَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ، فَعِلِمَ وَعَلَمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ».

وشاهدنا منه أن الله بعث النبي ﷺ بالهدى والعلم، ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى﴾ أي: العلم النافع، ﴿وَدِينِ الْحَقِّ﴾: العمل الصالح، وترى الذي يسير على غير علم يسير على غير هدى وعلى غير سبيل، قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ٢٣].

فهذا شأن الذي لا يسير على ضوء العلم، من لم يهتد بالعلم ضَلَّ، **(ويهديك السبيل إذا ضللتا)**، فالعلم يهدي السبيل في شؤون الحياة وفي شؤون دين الله جميعا، فتراه في صلاته على هداية، وعلى بصيرة، يصلي كما صلى رسول الله ﷺ وإذا تكلم تكلم بحجة، وإذا صمت صمت عن باطل، «ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت»<sup>(١)</sup> وفي أركان الإسلام يؤدّيها على هداية، وهكذا في سائر شؤونها يلتقى الله ﷻ، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأَنْعَام: ١٥٣].

(١) اتفق عليه البخاري (٦٠١٨) ومسلم (٤٧).

قال الناظم رحمه الله :

(٩) وَتَحْمِلُ مِنْهُ فِي نَادِيكَ تَاجاً وَيَكْسُوكَ الْجَمَالَ إِذَا عَرَيْتَا

شأن الناس أنهم بحاجة إلى العلم، هكذا سنة الله في خلقه، فيكون من عنده علم مرفوعاً عند الله وعند صالح عباده، قال تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: ١١] .

فإذا جلس في مجلس احتاج الناس إلى سؤاله، قال تعالى: ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]، وإذا حصلت معضلة احتاج الناس إلى سؤاله، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣] .

وإذا حصل بالناس شذائد رجعوا إلى علمائهم، فيصير من كان على علم في ناديه، بل بين المسلمين وبين أهل الحق مُتَوَجِّجاً بالعلم؛ بما وفقه الله له: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: ٢٨]، تاج السكينة، تاج الوقار، تاج العلم، تاج الهداية، تاج الحق، وهو مُتَوَجِّجٌ في قومه، وكذا مُبَجَّلٌ في أوساطهم.

(ويكسوك الجمال إذا اغتربتا): وهو جميل سواء كانت زينة الإيمان

أو زينة العلم قال تعالى: ﴿وَلِيَأْسَ الْتَقَوَىٰ ذَلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٦] وقال: ﴿حَبَبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانُ وَزَيْنَتُهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرِهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّشِدُونَ﴾ [الحجرات: ٧] .

فهو زينة الظاهر والباطن، وانظر لمن يسير على العلم ترى الأدب في مشيته، وفي مجلسه، وفي كلامه، وفي مطعمه، وفي مشربه، وفي مجالساته، وفي سائر شؤونه، يكون بذلك قدوة، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١] فهو آخذ الأسوة الحسنة فيكون موطن أنظار الناس، ويشار إليه بالبنان لما فيه من التأسى بذلك من الخير.



قال النازم رحمه الله :

(١٠) يَنَالُكَ نَفْعُهُ مَا دُمْتَ حَيًّا وَيَبْقَى ذِكْرُهُ لَكَ إِنْ ذَهَبْتَ

ينالك نفعه مادمت حيا، ما تقوم الحياة الدنيا والحياة الآخرة إلا على العلم، فالعلم لا غنى لأحد عنه لا التاجر في تجارته، ولا الزارع في زراعته، ولا الصانع في صناعته، فكلهم يحتاج إلى الانتفاع بالعلم، بأقواله وأفعاله وليله ونهاره وأذكاره وعباداته ومعاملاته وأخلاقه وسائر شؤونيه، لا بد أن ينتفع بالعلم وإن لم ينتفع بالعلم فهو ضال، فالعلم ينالك نفعه مادمت حيا، ويبقى ذكره لك إن ذهب.

كما صح عن أنس رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : «إِنَّ الْكَافِرَ إِذَا عَمِلَ حَسَنَةً أُطِعَ بِهَا طُعْمَةً مِنَ الدُّنْيَا، وَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَإِنَّ اللَّهَ يَدْخِرُ لَهُ حَسَنَاتِهِ فِي الْآخِرَةِ، وَيُعْقِبُهُ رِزْقًا فِي الدُّنْيَا عَلَى طَاعَتِهِ»<sup>(١)</sup>.

يبقى له ذلك عند الله عز وجل وما حصل في جانب هذا العلم هو عاجل بشري المؤمن فقط

**قوله (إن ذهب)** أي: إلى الدار الآخرة.



## من صفات العلم النافع

قال الناظم رحمه الله :

(١١) هُوَ الْعَضْبُ الْمُهَنْدُ لَيْسَ يَنْبُو تُصِيبُ بِهِ مَقَاتِلَ مَنْ ضَرَبَتْهَا

يصف العلم أنه كالسيف المهند والعضب يقال للسيف والمهند ربما وصفوه من صناعة تلك البلاد.

(ليس ينبو): أي ليس فيه ضعف بل هو صارم.

تصيب به مقاتل من ضربتها: فانظر إلى كلام وردود وحجج أهل البينات والعلم والهدى، كيف ترى أنها تفصل بين الحق والباطل، كالسيف يفصل بين الجسد بعضه من بعض، حجج أهل العلم هي فصل، فصل في القضايا، فصل في المسائل وهكذا هو كالسيف.



قال الناطم رحمه الله :

(١٢) وَكَزُرْ لَا تَخَافُ عَلَيْهِ لَصًّا خَفِيفَ الْحُمْلِ يُوجَدُ حَيْثُ كُنَّا

العلم كنز، ولكن ليس ككنوز الدنيا التي يخاف عليها السراق واللصوص، فهو كنز يحمله في القلب حيث ذهب كما قال ابن حزم:

فإن تحرقوا القرطاس لا تحرقوا      تضمنه القرطاس بل هو في صدري  
يسير معي حيث استقلت ركائي      وينزل إن أنزل ويدفن في قبري  
دعوني من إحراق رِقٍ وكاغد      وقولوا بعلم كي يرى الناس من يدري  
والأفعودوا في المكاتب بدءاً      فكم دون ما تبغون لله من ستر  
كذاك النصارى يحرقون إذا علت      أكفهم القرآن في مدن الثغر

وهو يصف بذلك أنهم وإن أحرقوا الكتب التي كانت عنده، فإنه كنز بقي في جوفه، يعني بذلك أنه يحفظه، فحفظ العلم كنز مع صاحبه وأعظم ما يسرق به العلم ويختطف به هي الفتن وقد قال النبي ﷺ : «إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ أَنْتَرَاعًا يَتَزَعُّهُ مِنَ الْعِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بَقْبِضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا» متفق عليه عن

عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه .

وهكذا هذا الكنز قد يذهب على صاحبه إما بفتنة، وإما بضيق صدر وإما قد يتليه الله ببعض الأمراض، ولكن أكثر ما يتلفه الفتن «إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةً وَفِتْنَةُ أُمَّتِي الْهَلْ» رواه الترمذي (٢٣٣٦) وأحمد (١٦٠/٤) من حديث كعب بن عياض، وهو حديث صحيح .

فإذا انشغل الإنسان بالدنيا عن العلم ذهب، وفوت الكنز العظيم إلى شيء حقير، فأضاع كثيرا وعظم حقيرا، فترى من طلاب العلم من يحفظ ويفهم ويدرس ويُدرّس فإذا شغل عن هذا بغيره، ذهب عنه، وأضاع هذا الكنز الذي منه: «لا حول ولا قوة إلا بالله كنز من كنوز الجنة»<sup>(١)</sup>، فليحذر الإنسان على هذا الكنز وليحافظ عليه، من أعطاه الله القرآن يحافظ عليه، ومن أعطاه السنة يحافظ عليها، ومن أعطاه الله من هذا الخير فليحافظ عليه حتى لا يسلبه سراق الهداية، وسراق العلم، وسراق الخير، من أخلاقك ومن معاملتك ومن سكينتك ومن هدايتك ومن توفيقك، فيجرفوك إلى البلاء والشر، والله ما أرادوا لك خيرا، ما أرادوا إلا ليسلبوا.

وكثير منهم يكون هذا الكنز عنده لكن لا يستفيد منه قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا الثَّورَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الجمعة: ٥]، عندهم كنز، عندهم كتاب عظيم، ولكن ماذا يستفيد الحمار حين يحمل الكتب الضخمة؟!

ما معه إلا الحمل والتعب! لا يستطيع أن يأكل منها ولا يستطيع أن يأخذ منها شيئا، فوصف الله الذين لم يستفيدوا من تلك العلوم وتلك الكنوز ومن ذلك الخير شأنهم شأن الحمار يحمل أسفارا، وقال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ (١٧٥) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ

(١) كما في البخاري (٤٢٠٢) ومسلم (٢٧٠٤) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه وجاء عن عدد من الصحابة، أصحها حديث أبي موسى.



عَلَيْهِ يَلْهَتْ أَوْ تَرُكُهُ يَلْهَتْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ  
الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿[الأعراف: ١٧٥ - ١٧٦].

وقال تعالى: ﴿أَفَنظَمُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ  
اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٥].

فأولئك أعطوا كنوز أمم لا يحصيها إلا الله، أعطيت هذه الكنوز وهذه العلوم  
فلم يعظموها ولم يصونوها حتى سلبت عنهم، نسأل الله العافية، والله لأن تذهب  
الدنيا كلها خير من أن يذهب من عندك هذا الكنز العظيم، كنز الإسلام، كنز  
السنة، كنز الهداية والتوفيق والاستقامة وطلب العلم والتفقه في دين الله، هذا لا  
يعوض أبدا ولا يعدله شيء في الدنيا.



## بذل العلم من أسباب الحفاظ عليه

## ونمائه

قال النازم رحمته :

(١٣) يَزِيدُ بِكَثْرَةِ الْإِنْفَاقِ مِنْهُ وَيَنْقُصُ إِنْ بِهِ كَفًّا شَدَدَتَا

**قوله (يزيد بكثرة الإنفاق منه):** تدعو به تعلم به يثبت، ماهو مثل تلك الكنوز المالية التي تنقص بالإنفاق أي بالإخراج منه أما الصدقة فليست نقصا لحديث: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ»<sup>(١)</sup>.

وفي الحديث «اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا» **متفق عليه**، فهو عنده خلف من الله تعالى، هذا في أمور الدنيا، والعلم لو وجدت إنسانا لا يعبأ بالعلم، ولا يعتني به ولا ينشره فإن هذا لا يستفيد منه، ويصير العلم حجة عليه لا له؛ كما في حديث الحارث بن عاصم الأشعري رضي الله عنه في مسلم وعند النسائي وفي آخره: «وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ». وربما اجتمع عليه أهل النار يوم القيامة فيقولون: مالك يا فلان، فيقول: كنت آمركم بالمعروف ولا آتية وأنهاكم عن المنكر وآتية، وأمعأوه مندلقه بين يديه والناس ينظرون إليه في ذلك الحال المرعب، فهذا يشير إلى عدم العمل بالعلم، وعدم الإنفاق منه؛ فادعو إلى سبيل ربك يبارك لك الله، واهد من العلم وتصدق من العلم وابذل من العلم وذاكر من العلم، ابذل العلم وابذل في العلم، والله هذه نصيحة لي ولغيري.

(١) رواه مسلم (٢٥٨٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

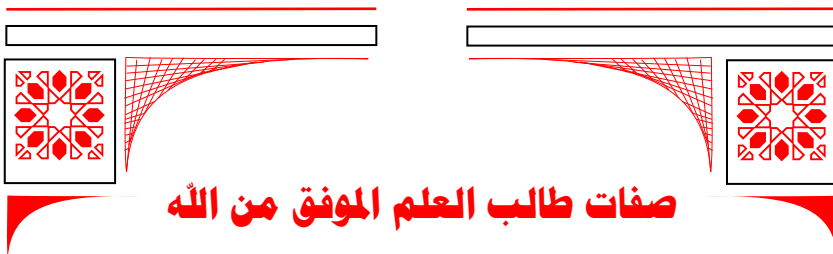
كل شيء دون العلم أرخص من العلم، وكذلك ابذل العلم بالنصيحة إذا مشيت بجانب واحد واعطيته حديثاً وحفظته ذلك الحديث، كان سبب هدايته، كم بذلت من هذا الخير للناس، وصار في ميزان حسناتك هدايته، فهذا هو الإنفاق منه، التعليم والدعوة والنصح والتوجيه وأن يكون كل ذلك بالحق وتحري الصواب .

**وقوله (وينقص إن به كفا شددتا):** أشد البخل، البخل بالعلم، كما ذكر شيخ الإسلام في اقتضاء الصراط المستقيم، وفي الحديث الثابت شر ما في المرء جبن هالغ وشح خالغ، البخل بالمال يعتبر من كبائر الذنوب، لكن البخل بالعلم كما فعل الكفار أولئك أهل الكتاب كانوا يكتُمونه من بعد ما عقلوه، قال تعالى: ﴿أَفَنظَمُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا بِكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٥].

يكتُمونه ولا يريدون أن ينشروه ليحاجوكم عند ربكم، وكذلك يضع يده على آية الرجم كما فعل ذلك اليهود الذين تحاكموا إلى الرسول فقال ارفع يدك فإذا هي آية الرجم فيكتمه ولا يريد نشره هذا شأن أهل الانحراف، فكتمان العلم سبب لأن يلجم صاحبه بلجام من نار يوم القيامة لاسيما مع احتياج الناس إليه، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَهُ أَلْجَمَهُ اللَّهُ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». رواه أبو داود (٣٦٥٨) والترمذي.

**(وينقص إن به كفا شددتا):** فمن بخل بالعلم ذهبت عنه تلك النعمة وربما سلبها.





قال النازم رحمته الله :

(١٤) فَلَوْ قَدْ ذُقْتَ مِنْ حَلَوَاهُ طَعْمًا لَا ثَرْتَ التَّعَلُّمَ وَاجْتَهَدْتَ

يعني لو قد ذقت العلم، العلم له لذة ونهمة منهومان لا يشبعان، منهوم في دنيا لا يشبع ومنهوم في علم لا يشبع الذي منهوم في دنيا، يا إخوان تجده كالمجنون بعدها، ولا يشبع منها حتى يمتلئ فمه بالتراب كما في الصحيحين عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ وابن عباس رضي الله عنهما، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادٍ مِنْ ذَهَبٍ، أَحَبَّ أَنْ لَهُ وَادِيًا آخَرَ، وَلَنْ يَمْلَأَ فَاهُ إِلَّا التُّرَابُ، وَاللَّهُ يَتُوبُ عَلَى مَنْ تَابَ».

أي أنه يهرع إليها من كل جانب ولو شعر أنه ينقص عليه شيء من المال ربما ما ذاق النوم ولا ارتاح، ولو كان ينقص من دينه أو صلاته فلا يبالي.

والذي يذوق العلم حلاوته يسهر من أجله ويجهتد من أجله ويبذل من أجله ويغضب لله من أجله، هكذا الذي قد ذاق حلاوة العلم، فلو قد ذقت من حلواه طعما، أي لذة العلم كلذة الإيمان لأنه من الإيمان، ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا وبالإسلام ديناً، وكذلك العلم من الإيمان طلب العلم والتفقه فيه.

وكان بعضهم إذا حرر مسألة يجد من الإنتعاش ما يجعله يأخذ السيف ويلعب فرحاً بذلك، ولكن الأفضل من ذلك إذا حرر مسألة حمد الله وشكر الله، وأكثر من ذكر الله على هذه النعمة، وقوله لآثرت التعلم واجتهدتا: معناه أنه من كان عنده لذة العلم وعرفها يجتهد، يكون حادياً له للاجتهاد ويؤثر التعلم ولا يحب شيئاً يعارضه.



قال الناظم رحمته الله :

(١٥) وَلَمْ يَشْغَلْكَ عَنْهُ هَوًى مُطَاعٌ وَلَا دُنْيَا بِزُخْرُفِهَا فُتِنَتْهَا

وهذا واضح، لو ذقت العلم ما تشغل عنه ولا تفضل عليه شيئاً لا يشغلك هوى مطاع ولا دنيا بزخرفها تفتنك عنه، وحب العلم وحب الدنيا والهلع فيها لا يجتمعان.

وعلى قدر إقبالك على العلم تُكْرَمُ من ربك «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل ما نوى»، وهي واضحة، آيات واضحة جيدة، نصائح واضحة، ولويجعل الطالب من دعائه أن يجعل الله قلبه يقبل على العلم وألا يشغله عن العلم شيء، فإن الله تعالى قال ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِلَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦]، فإذا لم تُشْغَلْ عن العلم فقد ملأت يديك بالخير.



قال النازم رحمه الله :

(١٦) وَلَا أَلْهَاكَ عَنْهُ أَنْيَقُ رَوْضٍ وَلَا خَدْرٌ بِرَبِّهِ كَلَفْتَا

(ولا ألهاك عنه أنيق روض): يعني: بساتين، روض من رياض الأرض.

(ولا خدر بربربه كلفتا): يعني: ولا بذات الخدر.

الصالحون يعطون كل ذي حق حقه ولا يشغلهم ذلك عن طاعة الله قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ ءُمُورُكُمْ وَلَا ءَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المنافقون: ٩].

وفي الحديث: «فَإِنَّ لِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا»<sup>(١)</sup> ولكن هذا الحق لا يشغله عن ذكر الله، ولا عن العلم، فما يشغله عن العلم دنيا، ولا بناء، ولا أنيق روض بزخارف، ولا مزارع، ولا ذوات الخدور.



(١) متفق عليه من حديث أبي جحيفة في قصة سلمان وأبي الدرداء، ومثله عن ابن عمرو بن العاص متفق عليه أيضا .

## قوت الروح

قال النازم رحمته الله :

(١٧) فَقُوتُ الرُّوحِ أَرْوَاحُ الْمَعَانِي      وَلَيْسَ بِأَنْ طَعِمْتَ وَأَنْ شَرِبْتَ

الطعام والشراب قوت، ولكن قوت الجسم، ويستفيد الروح من ذلك، فإن ما يأكله الإنسان يعود على ذاكرته ويعود على روحه أيضا بالهداية إن كان حلالا، ويعود على جسمه بالطيب إن كان طيبًا، ويعود على جسمه بالخبث على جسمه إن كان خبيثا، فسائر ما يأكله الإنسان على هذا، ولهذا حرم الله الميتة لضررها على الأجسام وحرم كل ذي ناب من السباع، وكل ذي مخلب من الطير، وحرم الخمر وحرم الخنزير لما فيه من الدياثة، لعودها على الأجسام وعلى الأرواح.

ولكن قوت الروح أرواح المعاني: هو ذكر الله، وغذاء الأرواح هو ذكر الله، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِّنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدَى إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢]، وسماه روحا وسماه نورا، هذا هو قوت الروح، يكون لها من ذكر الله إقتيات.

بل كان رسول الله رحمته الله يواصل بالصوم ويقول: «إني ليس كهياتكم، إني أطمع وأُسقى»<sup>(١)</sup>، قال أهل العلم: طعام معنوي وسقاء معنوي، لو كان طعاما وشرابا حسيا ما كان وصالا، ولكنه معنوي، بحيث يستغني بهذا عن الطعام والشراب، ومن حصل له سوء تغذية روحية لم تنفعه التغذية البدنية، حيث أنه يسمن جسمه

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة رحمته الله.



ويفقر روحه، ويضره ذلك ويعود عليه بالضرر ولا ينفعه، فيؤتى بالرجل السمين  
البطين لا يزن عند الله يوم القيامة جناح بعوضة قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَنَّوْنَ  
وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَشْوَى لَهُمْ﴾ [محمد: ١٢].

فما يستفيد من غذاء البدن إذا لم يستفد من غذاء الروح.



## الحث على المداومة على العلم والعمل

قال النازم رحمته الله :

(١٨) فَوَاطِبُهُ وَخُذْ بِالْجِدِّ فِيهِ فَإِنْ أَعْطَاكَهُ اللَّهُ أَخَذْتَا

أي واطب هذا الغذاء الروحي، وداوم عليه، يحث على المداومة على العلم والعمل، أي: لا تنقطع عن طاعة الله، كما في الحديث: «ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه»<sup>(١)</sup>، وأيضا: «نعم العبد عبد الله لو كان يصلي من الليل»<sup>(٢)</sup> فما ترك قيام الليل، فواظب العبادة وواظب العمل الصالح واستمر على ذلك وعلى العلم، وإذا انقطعت عن العلم حصل لك فتور فيه وتلاشت معلوماتك وضعف حفظك وربما رجعت من عداد العوام، وقد لحظنا هذا، فالمواظبة فيها تنمية للحافظة، وفيها تنمية للمعلومات، وفيها شكر لنعمة الله بالمحافظة عليها بالازدياد منها، قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

فهذا من شكر النعمة: المحافظة عليها؛ حتى لا تضيع، وإذا كان كذلك فإنه يدل على نهمته في العلم كما في الحديث عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ

(١) حديث قدسي أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) أخرجه البخاري (١١٢٢) ومسلم (١٤٧٩).

قال: «مَنْهُمَ مَنْ لَا يَشْبَعَانِ: مَنْهُمُ فِي عِلْمٍ لَا يَشْبَعُ، وَمَنْهُمُ فِي دُنْيَا لَا يَشْبَعُ»<sup>(١)</sup>.

فالمُنهوم لا ينقطع، يصير مواظبا ومستمرا، ولو أن الإنسان يحفظ في اليوم عدة أسطر من القرآن والآخر يحفظ الصفحات ثم ينقطع لكان هذا المواظب أتقن وبعد أيام يكون قد أكمل القرآن وذاك المنقطع ربما صرف عنه ولم يكمله.

وهكذا لو أنك تدرس في «العقيدة الواسطية» كل يوم درسا بعد درس بعد درس ما يمر ثلاثة أشهر أو نحو ذلك إلا وقد انتهيت من الواسطية، وذاك الذي يأتي بدرس أسبوعي أو شهري تمر السنة وما قد كملها لعدم المواظبة ويميل هو ويميل طلابه وربما ينسون ما قد درسوه منها، ويحتاجون أن يدرسوه من جديد؛ لضعف المواظبة.

فالمواظبة والمداومة على الخير والعمل ما داوم عليه صاحبه وإن قل وحصل فيه مداومة ومثابرة واستمرار على الخير - هذا فيه بركة وعلى سبيل المثال إنسان قد يكون غيره أذكى منه، لكن هذا يوفقه الله للثبات، يستمر على السنة وعلى ما يسره الله له، تراه بعد حين وقد نفع الله به نفسه وغيره، ويوم القيامة عمله عظيم.

وهذا الذي قد يكون أذكى منه بأضعاف، أيام وانقلب ويعود على نفسه بتضييع نفسه واستقامته ودينه وأخلاقه، فلم يداوم على الخير، ولم يحافظ عليه، فأثر ذلك الاستمرار على صاحبه نفعاً، وأثر ذلك الانقطاع على صاحبه ضرراً،

(١) أخرجه الحاكم (١/٩١) وهو حديث صحيح خرج في «الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين»

لشيخنا رحمته الله رقم (٥١).

وفي الحديث: «لا يزال المؤمن مُعِقًّا صالحًا ما لم يصب دما حرامًا، فإذا أصاب دمًا حرامًا بَلَحَ»<sup>(١)</sup>.

بَلَحَ: أي انقطع، ومادام في الإيمان وفي أعمال الإيمان يزداد من الخير قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ أَهْدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَءَانَّهُمْ نَقَوْهُمْ﴾ [محمد: ١٧]. وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الصف: ٥].

ومقابل الهداية الذي يزيغ ويتبع أعمال الزيغ قد يزاغ، كما قال تعالى: ﴿سَاصِرُفٌ عَنْ ءَايَتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلَّ ءَايَةٍ لَا يُؤْمِنُوهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَكْرُوا سَبِيلَ الْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَبُوا بِعَايِنَتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٦]، فهذا يصرف.

والصوارف عن الخير كثيرة، ومنها الصوارف عن العلم بعدم المواظبة عليه فإنه يحصل له ملل فيه ولا يحصل له اندفاع لأن المواظب عليه يحصل على فائدة بعد فائدة بعد فائدة، تعود على صاحبها بالإقبال وبانشراف الصدر، أما من لا يواظب عليه إذا انقطع وجد راحة، ووجد فسحة، واستراح وابتهج.



(١) رواه أبو داود (٤٢٧٠)، وهو حديث صحيح في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين" لشيخنا رحمته الله رقم (١٠٥٣).

## التحذير من مصاد الشيطان لمن نال

### شيئاً من العلم

قال الناظم رحمته الله :

(١٩) وَإِنْ أُوتِيَ فِيهِ طَوِيلَ بَاعٍ      وَقَالَ النَّاسُ : إِنَّكَ قَدْ سَبَقْتَا  
(٢٠) فَلَا تَأْمَنْ سُؤَالَ اللَّهِ عَنْهُ      بِتَوْبِيخٍ : عَلِمْتَ ؛ فَهَلْ عَمِلْتَا؟

بعد العلم وبعد المثابرة والمواظبة عليه ويعطيك الله منه شيئاً، تأخذ شيئاً نافعا منه، وأخذت شيئاً مشرفاً، هنا تلفت أعين الناس وأنظارهم إليك ويقولون إنك سبقت أقرانك وصرت حافظاً، إلى غير ذلك من احسان الناس الظن بك ومدحهم لك، هنا يخشى عليك من أمور.

**فاحذر الشيطان في هذه المرحلة، فإنه قد يأتيك من جوانب عديدة :**

منها جانب الغرور، ومنها جانب الحسد، ومنها جانب التكبر والتعالي، ومنها جانب الزهو بالنفس، ومنها جانب كون الناس يلتفتون إليك أنك قد سبقت سبقا عظيماً، ما يكون هناك إخلاص ربما يؤدي بك ذلك إلى مصانعتهم وإلى الرياء عن جندب وابن عباس رحمتهما الله قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «مَنْ سَمَعَ اللَّهَ بِهِ، وَمَنْ رَأَى رَأَى اللَّهَ بِهِ». **رواه مسلم (٢٩٨٧).** فإذا لا تأمن أموراً في هذه الحالة.

**ومنها سؤال الله عنه،** إذا حافظت عليه ثم أثبتته اعلم أنك ستسأل عن أربع

يوم القيامة وقال تعالى: ﴿وَقِفُّهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ [الصافات: ٢٤].

ومن أخذ من العلم قليلا أو كثيرا سيسأل عنه، عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَل رضي الله عنه قَالَ: «لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ: عَنْ عُمْرِهِ فِيهَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ جَسَمِهِ فِيهَا أَبْلَاهُ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيهَا وَضَعَهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ مَاذَا عَمِلَ فِيهِ». رواه الترمذي وهو حديث ثابت بشواهده.

فهذه أشياء يسأل عنها فاستحضر سؤال الله هل كان علمك لله تعالى أم ليقال قارئ ثم تلقى في النار، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ، فَأُتِيَ بِهِ، فَعَرَفَهُ نِعَمَهُ، فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟

قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ. قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ. ثُمَّ أُمِرَ بِهِ، فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ، حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ، وَعَلَّمَهُ، وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ، فَعَرَفَهُ نِعَمَهُ، فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟

قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ، وَعَلَّمْتُهُ، وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ. قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ. ثُمَّ أُمِرَ بِهِ، فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ، فَعَرَفَهُ نِعَمَهُ، فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟

قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ. قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ. ثُمَّ أُمِرَ بِهِ، فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ» رواه مسلم (١٩٠٥).

هنا فيه إشارة إلى تصحيح النية إلى الإخلاص وأنت في طلبك وفي أدائك تخلص لله سبحانه وتعالى، وتعالج نفسك وتحاسبها حتى لا يأتي الشيطان يختزل عليك هدايتك من هذا الجانب ويأتيك ويضيعك من جوانب كثيرة، هذه المرحلة خطيرة، بعد أن صار كما يقال: خيره يرى للناس، والناس يقولون قد سبقت، وإذا به يفلت من بين أيديهم.

**ومن أسباب الضياع:** مجالسة أهل الأهواء، هذا السقوط له أسباب كثيرة منها النوايا كما قال تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ وَنُقَلِّبُ أَفْعَادَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرَهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [الأنعام: ١٠٩ - ١١٠].

وإن علم منه التمرد على الحق قد يسيره إلى ما علمه منه ويصرف قلبه من حيث أنه ماله عناية بدين الله والأعمال بالنيات كما في الحديث: «وإنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، فَيَدْخُلُ النَّارَ» متفق عليه من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

أسأل الله أن يصلح أعمالنا وأقوالنا ويجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم سبحانه وتعالى، فاستعد لسؤال الله عن ذلك وهو مطلع عليك قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ﴿١٠٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ﴿١١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ ﴿١١١﴾﴾ [العاديات: ٩ - ١١] وقال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١١٢﴾﴾ [الملك: ١١٢].

[١٤]، ومن تلك المجالسة ما في البخاري (٤٧٧٥) ومسلم (٦٧٥٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يَهُودَانِهِ،

أَوْ يُنْصَرَانِهِ، أَوْ يُمَجَّسَّانِهِ»، فهو مولود على الفطرة ولكن ينشأ بين أبوين مسلمين فصار على ذلك الحال أو يولد بين أبوين مشركين فصار على ذلك الحال.

وينشأ ناشئ الفتيان فينا على ما كان عوده أبوه

فاحذروا يا أخي بارك الله فيك من المجالسة لا تركز على ذكائك وتجالس أهل الباطل، وقد انبهرت ببعض الأذكاء الدواهي الذين يدخلونك في الجيب من أهل الأهواء، وما تستطيع أن تخلص من تلك الشبهة، ولهذا فرأى أهل العلم من مجالسة أهل الأهواء، وأهل الشبهات فرؤوا منهم -والله- حفاظاً على سلامتهم، وهدايتهم، واستقامتهم، فالحفاظ عليها لا يعدله شيء.

فمن الحفاظ عليها التميز عن ذوي الشهوات والشبهات والفتن، وتكون المخالطة بقدر إصلاح نفسك، وبقدر الأهمية والاحتياج وال لزوم، أما مخالطتهم ومجالستهم فهذا مرئي رأي العين، أكثر من خالط أهل الباطل تأثر بهم، بقدر ما عندهم من الباطل سيتأثر.

ألا ترى عمران بن حطان تأثر بالخوارج بعد أن جالس امرأة خارجية، ألا ترى كثير من الناس قد تأثروا بمن جالسوا وقد نهى رسول الله ﷺ عن ذلك وقال: «إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوِّءِ، كَحَامِلِ الْمُسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ؛ فَحَامِلُ الْمُسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَحْدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَحْدَ رِيحًا خَبِيثَةً» متفق عليه .

أرفق بنفسك بارك الله فيك، وجالس الصالحين، وأحمد الله على هذه النعمة أنك تجد صالحين تجالسهم إن لم ينفعوك ما ضررك، أنت في عافية، ومجالستهم غنم هم القوم لا يشقى بهم جليسهم، كما قال رسول الله ﷺ، مافي شقاوة من

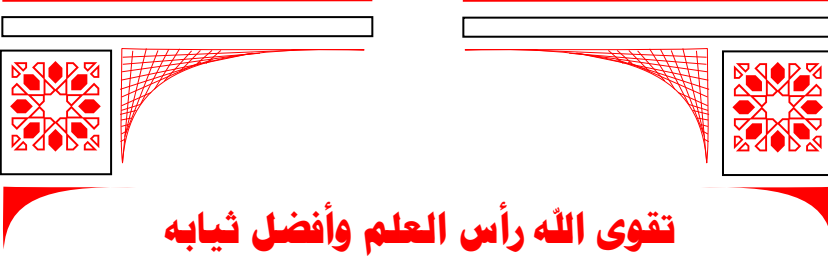


جانبهم البتة، لاشقاوة منهم لا في عقيدتك ولا في نهجك ولا في أخلاقك، ولا في معاملتك، فأنت في خير قال تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

الشأن أنك ستسأل عن هذه النعمة هل حافظت عليها هذه السنة، العلم هل حافظت عليه، على الخلق، على الولد الصالح هل حافظت عليه، الأهل الطيبون هل حافظت عليهم وعلى ما هم فيه قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَوْا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

فالحفاظ الحفاظ على الهداية يا إخوان، نحن في أزمنة قل خير أهلها وكثر شر أهلها «لا يأتي عام إلا الذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم» كما في البخاري عن أنس عن النبي ﷺ.





قال الناظم رحمه الله :

(٢١) فَرَأْسُ الْعِلْمِ تَقْوَى اللَّهِ حَقًّا      وَلَيْسَ بِأَنْ يُقَالَ : لَقَدْ رَأَسْتَا

هذا رأس العلم، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: ٢٨].

فإذا رأيت العالم أو من من الله عليه بعلم، له عناية بتقوى الله فهذا هو المستفيد، وهذا هو المطبق لما علم بتقوى الله والجهل ضد ذلك، وما أرسل الله الرسل وأنزل الكتب إلا ليُتَّقَى قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَسَلُّوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٧].

وتكتسب تقوى الله إلا بالتفقه في دينه فإذا تفقّهت وعلمت، فهذا رأس العلم وهذا فائدته، وهذا ثمرته، وعلم بلا عمل كشجرة بلا ثمر، فإن لم يفدك العلم تقوى الله فأنت خاسر وصار علمك حجة عليك لا لك، وفي هذا جمعت بحمد الله رسالة عبارة عن أحاديث وآيات وبعض الحكم بعنوان: "النصيحة المحتومة، لقضاة السوء وعلماء الحكومة"، لما رأينا بعضهم كان يفتي بالديمقراطية، وبعضهم كان يفتي بالانتخابات وغير ذلك من الباطل، حتى أني سمعت بأذني من يقول: الديمقراطية نعمة، هذا الذي جعلنا نكتب هذه الرسالة.

### قال الناظم رحمه الله:

(٢٢) وَضَافِي ثَوْبِكَ الْإِحْسَانُ لَا أَنْ تُرَى ثَوْبَ الْإِسَاءَةِ قَدْ لَبِسْتَا

يعني أن تعتني بثياب التقوى ولباس التقوى، قال تعالى: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٦]، وحسن تقواك، ودينك، ومظهرك، ومخبرك بتقوى الله سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرُّشْدُونَ﴾ [الحجرات: ٧]، فزينة الإنسان؛ تقوى الله

إذا المرء لم يندس من اللؤم عرضه فكل رداء يرتديه جميل

فما دام مع تقوى الله، ومع إحسان العمل، فهذا لبس جيد وارتداء جيد، وماعدا ذلك ليس بجيد وإن كان في المظهر له لباس وريش، فقد يلبس مثلاً: القميص الحسن ويلبس عليه الجبة أو الحلة ويريش، فمنهم من يقول: اللباس ما يستر العورة، والريش ما كان فوق ذلك من الجمال وما إلى ذلك يسمى ريشاً كما قال تعالى: ﴿يَبْنَىءَ آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ لِبَاسًا يُورِي سَوَآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٦].

**الريش:** ما أردفه فوق ما يستر السوءة، وهذا كله لا ينفع عند الله ما لم يكن بطاعة الله وذكره وتقواه، يحشر يوم القيامة لا ينفعه ذلك اللباس، ولا ذلك الريش، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا، قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ

عَارِيَاتٌ مُّيَلَاتٌ مَّائِلَاتٌ، رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ، لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ، وَلَا يَحِدْنَ رِيحَهَا، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا».

**(فضايف ثوبك الإحسان، لا أن ترى ثوب الإساءة قد لبست)، لا يلاحظ**

منك أنك تلبس ثوب الإساءة في أقوالك وفي أفعالك وفي عقيدتك، ولكن البس ثوب الجمال الجميل، وهو ثوب الإحسان، ثوب الإخلاص، ثوب التقوى، ثوب الخلق الجميل، حتى لو كان الإنسان على أدم صورة وهو لابس هذا الخلق الجميل سيصير جميلاً في أعين الناس، ومبجلاً.

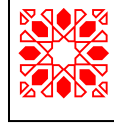
عطاء بن أبي رباح الذي كان مفتي مكة، كان أسوداً نوبياً، ومع ذلك عطاء ربما كان يجلس في حلقة أكابر الملوك يستفيدون منه، ويرون أن له شأنًا عظيمًا.

قالوا: ومرة خرج ابن المبارك وحوله طلاب العلم، في ذلك الوقار وقار ابن المبارك، وقار العلماء، فنظرت جارية وقالت: هذا -والله- هو الملك، لا ملك هارون الرشيد. الذي لا يتبعه الناس إلا رغبة أو رهبة، يعني يتبعونه رغبة في ما عنده هات، أو رهبة إذا لم يمشوا سيحصل لهم ضرر، أما هذا فيتبعونه للعلم وللدین.





## مصير من لم يعمل بالعلم النافع



قال الناظم رحمه الله :

(٢٣) إِذَا مَا لَمْ يُفِدْكَ الْعِلْمُ خَيْرًا فَخَيْرٌ مِنْهُ أَنْ لَوْ قَدْ جَهِلْتَا

إن لم يستفد من العلم خيرا وتدينا لله سبحانه وتعالى واستقامة على شرع الله، ونفعا لنفسه وللمسلمين فخير منه أن قد جهلت، بمعنى: أنك في عداد الجاهلين، بل إن الجاهل قد يكون معذورا وأنت لست معذورا، فلو فعل الجاهل فعلة ذميمة وفعل العالم نظيرها لصاح الناس على العالم أكثر من صياحهم على الجاهل، واعتبروا ذلك من العالم، بما لم يعتبروه في حق الجاهل، إذا لم يستفد من العلم فهو كالعادم للعلم.

فمن لم يستفد من علمه شيئا فهو كالجاهل، الجاهل، ما كان تعب في العلم ثم صار العلم حجة عليه، أما هذا فتعب وصار أسوأ حالا من الجاهل، وقد قال الله عز وجل ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٥]. وقال رحمه الله: «مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أَوْتُوا الْجَدَلَ»<sup>(١)</sup>.

(١) رواه الترمذي (٣٢٣٥) وابن ماجه (٤٨) وهو حديث صحيح خرج في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين" لشيخنا رحمه الله (٤٧٩).



تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر، قال كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه، وأنهاكم عن المنكر وآتيه، ومعناه أنه يتعجب منه جُهال الناس إذا صار إلى هذا الحال، ويلجم بلجام من نار، كما في الحديث عن النبي ﷺ: «مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكْتَمَهُ أَلْجَمَهُ اللَّهُ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»<sup>(١)</sup>.

وقال سفيان بن عيينه فيما نقله شيخ الإسلام رحمه الله في "اقتضاء الصراط المستقيم": من فسد من عبادنا ففيه شبه بالنصارى، ومن فسد من علمائنا ففيه شبه باليهود. ومن تلك الحِكَم:

يامعشر القراء يا ملح البلد من يصلح الملح إذا الملح فسد  
فالجاهل ربما يأتي إليه العالم فيصلح من شأنه إن شاء الله، أما العالم إذا فسد فإنه يفسد ويفسد غيره قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَاهَلِ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧] فيصير حاله أسوأ من حال الجاهل من عدة وجوه، فخير منه أن لو قد جهلتا: فالجهل شر على الإنسان من حيث أنه أستهيئ منه، قال: ﴿أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [البقرة: ٦٧]، وأضراره معروفة، ولكن المقصود؛ أن علما لم تنتفع به، عداد صاحبه في عداد الجُهال، بل هو أسوأ حالا، قال تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤].



(١) رواه أبو داود (٣٦٥٨) والترمذي (٢٦٤٩) وهو حديث صحيح.

## لزوم سلوك طريقة السلف الصالح لفهم الكتاب والسنة

قال الناظم رحمته الله :

(٢٤) وَإِنْ أَلَقَاكَ فَهْمُكَ فِي مَهَاوٍ فَلَيْتَكَ ثُمَّ لَيْتَكَ مَا فَهِمْتَ

يعني: إذا كان فهمك يؤديك إلى انحرافات وأن تفهم القرآن والسنة فهما مغلوطا، ياليتك ما فهمت هذا الفهم ولا كان لك هذا الفهم، فمثلا يقول أن القرآن ليس بكلام الله ولو استدل عليه بالآية: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤] يؤولها فيقول: جرّحه، يعني ما ثبت الكلام لله عز وجل، قالوا له أفرأيت قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ فسكت كمن فهم من قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ أن من صلى كان له الويل ومن لم يصلي هو في سلامة، قال أحدهم:

دع المساجد للعباد تسكنها      وطف بنا حول خمار ليسقينا  
ما قال ربك ويل للذين سكروا      ولكن قال ويل للمصلينا

هذا فهم بطل، وينبغي للإنسان أن يسلك في تفهمه لكتاب الله وسنة رسوله طريقة السلف رحمته الله حتى يكون فهمه صحيحا، مستقيما مؤيدا بالأدلة، لا كما قيل عن بعضهم عند ما سئل عن قوله تعالى ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧].



قال: معناها هن بناطيل لكم وأنتم بناطيل لهن، ومعنى الآية أوضح وأكمل من هذا: أن المرأة ستر لزوجها والرجل ستر لها، سواء كان هذا المعنى أو معنى حال العشرة والوقاع أو غير ذلك مما ذكره، ففي هذا حث الطالب على التفهم الصحيح ولا يستقيم فهمه فهما صحيحا إلا إذا سلك فيه مسلك السلف رضوان الله عليهم سواء كان في القرآن أو في السنة، اعتني بشروح الأحاديث الشروح الصحيحة، واعتني بتفسير القرآن بالتفسير الصحيحة، كتفسير ابن جرير الذي هو أصح التفاسير تحت أديم السماء كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية، وتفسير ابن كثير، وما كان من ذلك من كتب السلف تفاسير وشروح وأمثالها، تنجو من تلك الأفهام المخالفة التي قد تردك في عقائد فاسدة أو أقوال بعيدة سحيقة أو كلام لا يرضي الله.

وفي البخاري (٦٤٧٧) ومسلم (٢٩٨٨) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الْعَبْدَ لِيَتَكَلَّمَ بِالْكَلِمَةِ، مَا يَتَبَيَّنُ فِيهَا، يَزِلُّ بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ».

إذا كان هذا فهمك هكذا ففهمك هذا يضرّك، ولو بقيت على جهلك بغير هذا الفهم الذي يوقعك في زندقه أو شرك أو بدعة أو ضلالة فليتك ثم ليتك ما فهمت هذا الفهم.



## التحذير من العجز والكسل

قال النازم رحمته الله :

(٢٥) سَتَجْنِي مِنْ ثَمَارِ الْعَجْزِ جَهْلًا وَتَصْغُرُ فِي الْعُيُونِ وَإِنْ كَبُرْتَ

ينصح ولده أو من خصه بهذه النصائح ويحذره من العجز، أن لا يبقى عاجزا نؤوما كسولا، فإن هذا لايجني منه إلا الصغر والضعف، وفتور النفس، وأن يتقدم الناس وأنت تتأخر، والناس يرتفعون وأنت تهبط، وأمثال ذلك الذي يحصل من الكسالى الذي استعاذ منه رسول الله ﷺ : «اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن ومن العجز والكسل والجبن والبخل»<sup>(١)</sup> وأمثال ذلك.

فالعجز عن الواجبات حرام، كالعجز عن صلاة الجماعة مع عدم العذر، والعجز عن طلب ما يفقه به الإنسان دينه؛ للحديث الثابت بطرقه، عن عدد من الصحابة، ساقها ابن عبد البر رحمته الله في «جامع بيان العلم وفضله» وصححه الألباني رحمته الله في «صحيح الترغيب» و«صحيح الجامع»: «طلب العلم فريضة على كل مسلم» كونه يعجز عن تعلم كيف يصلي كما صلى النبي ﷺ فتراه يصلي على خلاف ذلك، ما تستطيع أن تفهم صلاة رسول الله ﷺ، والله خلقك لعبادته، ما تستطيع أن تفهم عقيدة يسيرة سهلة تندين لله سبحانه وتعالى بها من توحيد الله عز وجل بألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، وتبقى عاجزا عن هذه الواجبات

(١) أخرجه البخاري (٦٣٦٩) ومسلم (٢٧٠٦) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

التي هي عليك فريضة أن تعبد الله على بصيرة قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

فهذا عجز أن يبقى الإنسان جاهلاً بأمور دينه وينشط في أمور الدنيا، ولو قيل له أن الدرهم والدينار في مكان كذا لنشط له ولا يجتهد، وهو في جانب دينه كسلان، تعبان، فاترا، تسأله في قصار السور لا يحسنها، وتسأله في بدائيات الفقه وفي بدائيات التوحيد وفي بدائيات علوم الدين، هذا العجز الذي حذر منه؛ ستجني من ثمار العجز جهلاً.

أخي لن تنال العلم إلا بسة      سَأُنْبِيكَ عَنْ تَفْصِيلِهَا بَيَانٍ  
ذَكَاءٌ وَحِرْصٌ وَاجْتِهَادٌ وَبُلْغَةٌ      وَصُحْبَةٌ أَسْتَاذٍ وَطَوَّلُ زَمَانٍ

وينسب إلى الشافعي:

ومن لم يذق مر التعلم ساعة      تجرع ذل الجهل طول حياته

فخذ ما تعبد به ربك، كيف تصوم، كيف تصلي، كيف تزكي، كيف تحج، كيف تجاور الناس، كيف التعامل مع الناس بخلق حسن، هذا يتطلب منك وقتاً لا تعجز عنه، وإلا بقيت صغيراً في أعين الناس وإن كبر جسمك، وإن قالوا فلان كذا وكذا، مهما كان ما دمت لم تتعلم فإنك بين الناس جاهل.



قال الناظم رحمه الله :

(٢٦) وَتُفْقَدُ إِنْ جَهِلْتَ وَأَنْتَ بَاقٍ وَتُوجَدُ إِنْ عَلِمْتَ وَلَوْ فُقِدْتَ

يعني: انظر إلى الجاهل من الناس كأنهم مفقودون مهما كانوا التجار بكثرة ثرائهم، والرؤساء بكثرة ملكهم وأبهارهم ومع ذلك إذا مات أحدهم مات ذكره واختفى شأنه، لكن صاحب العلم إذا مات ما مات علمه قال رسول الله ﷺ: «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ؛ إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ». رواه مسلم.

ويبقى علمه ينتفع به الناس وهو ميت، انظر إلى صحيح البخاري، وصحيح مسلم، وكتب أهل العلم ما كان أهلها إلا أحياء بين الناس من حيث أن علومهم مشتهرة والدعاء لهم في ليل ونهار، ومن كل لسان صالح؛ قال البخاري رحمه الله، قال مسلم رحمه الله، قال فلان رحمه الله، موجودة علومك، وخيرك، وذكرك، تذكر بالخير ويترحم عليك وهذا هو الباقي قال تعالى: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: ٩٦].

وهذا الذي يتنافس فيه قال تعالى: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦] ولكن هذا يحتاج إخلاص وجد واجتهاد وصبر ومثابرة ودعاء الله سبحانه وتعالى وعلم وعمل وصدق مع الله سبحانه وتعالى، نسأل الله التوفيق وألا يحرمننا فضله.



## عواقب ترك نصح الناصحين

قال النازم رحمته الله :

(٢٧) وَتَذَكَّرْ قَوْلِي لَكَ بَعْدَ حِينٍ وَتَغِطُّهَا إِذَا عَنْهَا شُغِلْنَا

وفعلًا؛ قال ابن عباس رحمته الله : كان بعض الصحابة يمرون عليه وهو يطلب العلم ويقولون: من يحتاج لك يا ابن عباس وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم متوافرون، فكان يمشي إلى أبواب بيوت أكابر الصحابة ويجلس عند الباب والغبار يسفعه، فيخرج فيمشي معه ويأخذ من الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واستمر على ذلك، فبعد حين مر ذلك الرجل وعند ابن عباس الناس يأخذون منه العلم قال: لقد كان هذا أعقل مني.

وهكذا ستذكر قولتي لك بعد حين: يذكر الإنسان ساعة المضايق أنه يحتاج الناس إلى العلم وأهله قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَسَلُّوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٧] ويذكر الإنسان أيضا يوم القيامة قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٥٦].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُفْلِحُهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾ [الفصل: ٨٠]، وهكذا العلم يبرز في أوقاته وأحيانه ووقت الشدائد واللوازم كما قيل:

سيفقدني قومي إذا جد جدُّهم      وفي الليلة الظلماء يفقد البدر  
فلهذا يتذكر الناس، انظروا هذا كان زميلي طلبنا العلم أنا وإياه كذا وكذا ومن  
هذه الأشياء، طيب وما الذي أقعدك، همتك أقعدتك وعلت بهم همهم بعد  
توفيق الله سبحانه وتعالى، وتغبطها إذا عنها شغلنا: أي تغبط هذه النصيحة  
وتتمنى أنك أخذت بها، إذا شغلت عن هذا النصيح وابتعدت عن هذا التوفيق،  
إما بدنيا زائلة، وإما بفكرة باطلة، وإما بنحلة ضالة، وإما بشيء من الصوارف  
عن العلم، لاتصرف يا أخي عن طلب العلم، اصبر على العلم وأهله، فإن  
الشیطان يحاول أن يصرفك جادا، يقعد بأطرق الناس ليصرفهم عن الصراط  
المستقيم.



قال الناظم رحمه الله :

(٢٨) لَسَوْفَ تَعُضُّ مِنْ نَدَمٍ عَلَيْهَا وَمَا تُغْنِي التَّدَامَةُ إِنْ نَدِمْتَ

أي: تعض على أناملك، على هذه النصيحة وتقول: والله لو أني فعلت بتلك النصيحة، نصيحة الوالد، أو نصيحة فلان وما إلى ذلك، وأشد الندامة يوم تجد الناس ترفع درجاتهم بأعمالهم الصالحة، وأنت تهبط، والله أعلم إلى أين المصير قال تعالى: ﴿وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [يونس: ٥٤].

وقال تعالى: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بَحَسَرْتُ عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ﴾ ٥٦ ﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ ٥٧ ﴿أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الزمر: ٥٦-٥٨].

فكل هذه التحسرات يوم التغابن، يغيب الإنسان على مجلس فاته، وعلى خير فاته، فتحصل الندامة في الدنيا وتحصل الندامة الكبرى في الآخرة، والندامة أسبابها التفريط والإهمال، والتجاهل بالخير وسبله ووسائله، والإهمال في جوانب شتى وكل هذا سواء في الدنيا أو في الآخرة، فالحزم مطلوب قال تعالى: ﴿يَجِيئُ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾ [مريم: ١٢].

وقال تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٥].

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلِّ خَيْرٍ، احْرِضْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِزْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ، وَإِنْ

أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا. وَلَكِنْ قُلْ: قَدَّرَ اللَّهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ. فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ «**رواه مسلم**».

وعَنْ أَبِي يَعْلَى شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الْكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ، وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا، وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ» **رواه الترمذي** وهو صالح للاحتجاج بشواهد منها الذي بعده.

وسئل رسول الله ﷺ: فَأَيُّ الْمُؤْمِنِينَ أَكْيَسُ؟ قَالَ: «أَكْثَرُهُمْ لِلْمَوْتِ ذِكْرًا، وَأَحْسَنُهُمْ لِمَا بَعْدَهُ اسْتِعْدَادًا، أُولَئِكَ الْأَكْيَاسُ» **رواه ابن ماجه وهو صحيح**.

قال تعالى: ﴿حَقَّ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ۚ (١١) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۚ﴾ [المؤمنون: ٩٩ - ١٠٠]. وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ۚ﴾ [الأنعام: ٣٦]. وقال تعالى: ﴿بَلْ بَدَأْتُمْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ۚ﴾ [الأنعام: ٢٨].

ففي هذا بيان على أن الندامة على مفرط، في العمل الصالح، أو مفرط في التوبة والمماطل بها، وعدم الإسراع في طاعة الله عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتْنًا كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا، وَيُمْسِي كَافِرًا - أَوْ: يُمْسِي مُؤْمِنًا، وَيُصْبِحُ كَافِرًا - يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا» **رواه مسلم**.





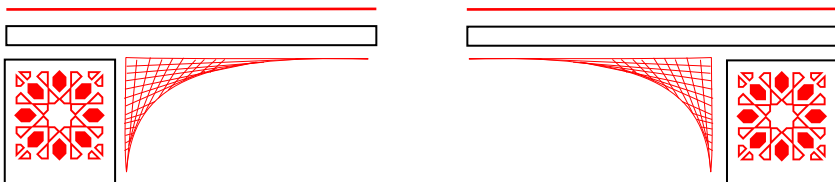
قال الناظم رحمه الله :

(٢٩) إِذَا أَبْصَرْتَ صَحْبَكَ فِي سَمَاءٍ قَدْ ارْتَفَعُوا عَلَيْكَ وَقَدْ سَفَلْتَا

تندم إذا رأيت صحبك قد ارتفعوا علما ودينا وهداية وأنت تفلت، كما قال النبي ﷺ : «وَأَنَا آخِذٌ بِحُجْرِكُمْ عَنِ النَّارِ، وَأَنْتُمْ تَفْلِتُونَ مِنْ يَدَيَّ» متفق عليه.

أذا رأيتهم ارتفعوا عليك وقد سفلت، السفول بسبب الدنيا والميل إليها، وبسبب جلساء السوء، والعاقدة الفاسدة والأفكار الهدامة، والبدع والأهواء، وبسبب ضعة النفس وبسبب وساوس الشيطان، فأعظم مستقبل تحصل عليه مستقبل الآخرة أن تقبل على الآخرة ولن تفوتك الدنيا، الذين يحرصون على المستقبل الدنيوي ضيعوا المستقبل الحقيقي، أكثر ضياعا للمستقبل هم؛ قال تعالى: ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٤].





## الاحتفال بالمال عن العلم النافع وعن الدين

### خسارة

قال النازم رحمته الله :

(٣٠) وَلَا تَحْفَلْ بِمَالِكَ وَاللَّهُ عَنْهُ فَلَيْسَ الْمَالُ إِلَّا مَا عِلِمَتَا

لا يعني على أنك تضع مالك فالرسول قال: «إِنَّ اللَّهَ كَرِهَ لَكُمْ ثَلَاثًا: قِيلَ وَقَالَ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ».

والرسول رحمته الله حبس الجيش يلتمس عقد عائشة رضي الله عنها حين فقد.

فالحفاظ على النعمة أدلتها كثيرة قال تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ [النساء: ٥].

ولكن ولا تحفل بمالك بحيث تلهوا به عن العلم وعن الدين هذا هو الخسارة قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المنافقون: ٩].

وقال رحمته الله: «وَمَنْ كَانَتْ الْآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَمَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا قُدِّرَ لَهُ». أخرجه أحمد وغيره وهو حديث صحيح.

وحديث معقل وهو حديث صحيح في "الصحيح المسند" للشيخ مقبل رحمته الله

أن رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ تَفَرَّغْ لِعِبَادَتِي أَمْلاً صَدْرَكَ غَنَى وَأَسَدَّ فَقْرَكَ، وَإِلَّا تَفَعَّلْ مَلَأْتُ يَدَيْكَ شُغْلًا وَلَمْ أَسُدَّ فَقْرَكَ» رواه الترمذي.

فلا يعني أنك تلهو عن المال تتركه وتضيع نعمة الله ولكن يعني بذلك لا تحفل بالمال حتى تشغل به عن طاعة الله فهذا عين الخسارة قال رسول الله ﷺ: «تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَعَبْدُ الدَّرْهَمِ، وَعَبْدُ الْخَمِصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخَطَ، تَعِسَ وَأَنْتَكَسَ، وَإِذَا شَيْكَ فَلَا أَنْتَقَشَ» رواه البخاري.

ودعا عليه رسول الله ﷺ بالانتكاس.

فالمشغول بالدنيا عن الآخرة مصيره إلى الانتكاسة، لهذا الحديث وقال رسول الله ﷺ: «مَا ذُبَّانٍ جَائِعَانِ أُرْسِلَا فِي غَنَمٍ، بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ الْمَرْءِ عَلَى الْمَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ» رواه الترمذي.

والانتكاسة أشد من المرض كما يقولون وهو الرجوع للخلف والقهقري بعد الهداية والتوفيق والسداد، وإذا شيك فلا انتقش: يصير عاجزا وهذا حور بعد كور وقد استعاذ رسول الله ﷺ من الحور بعد الكور ودعوة المظلوم، فتعتبر هذه الانتكاسة حور بعد كور، فلا تحتفل بمالك بما يسبب لك الانشغال والضياع المال سبب من أسباب طاعة الله وإن كان في غير طاعة الله فلا خير لك فيه كما قال تعالى: ﴿فَلَا تَعْجَبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ [التوبة: ٥٥].

فكم من رؤوس الأموال ما نفعتهم أموالهم وقرأ قصة قارون وقرأ قصة فرعون حين قال: ﴿يَقَوْمُ أَلَيْسَ لِي مُلْكٌ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (٥١) أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿ [سورة الزخرف: ٥٢]، وأمثال ذلك، كيف وبخهم الله سبحانه وتعالى وأهلكهم، حفلوا بالمال وما اعتنوا بدين الله.

قال الناظم رحمه الله :

(٣١) وَلَيْسَ لَجَاهِلٍ فِي النَّاسِ مَعْنَى وَلَوْ مُلْكُ الْعِرَاقِ لَهُ تَأَنَّى

ضرب مثلاً بملك العراق؛ لِعِظَمِهِ في ذلك الزمان؛ كَوْنُ الملوك كانوا يحبون العراق؛ لحسن مناخها، وخيراتها.

وليس لجاهل في الناس معنى أي: ما له محل من الإعراب، منسي، جاهل، فلان، فكم في الدنيا من الجاهل ما أحد يعرفهم، هَبْ أنه يملك ملك العراق بأسرها أو ما هو أعظم من ذلك بل قد تكون فتنة عليه، تزيد في ضَعْفِهِ عند الله وعند خلقه؛ قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النَّسَاءَ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةٍ بَنَى إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ» رواه مسلم.

وهذه نصائح صادق -فيما نحسبها- لهذا المنصوح؛ فصارت هذه القصيدة متناقلة مستفادة بهذه النصائح الجميلة التي لو استرسل الإنسان في بيت واحد ربما يبنى عليه محاضرة؛ لأنه رتبها ترتيباً رائعاً.



## بقاء العلم وانتفاع صاحبه به بعد موته

قال الناظم رحمته الله :

(٣٢) سَيَنْطِقُ عَنْكَ عِلْمُكَ فِي نَدِيٍّ وَيُكْتَبُ عَنْكَ يَوْمًا إِنْ كَتَبْتَ

**قوله (سَيَنْطِقُ عَنْكَ عِلْمُكَ..)** يعني: علمك هذا ينبيء عنك، عن عقيدتك الصحيحة وعلمك النافع وخلقك الجميل فيكون هذا مترجما حالك، وكم من الناس تحت الثرى ونحن نعلم ما كانوا عليه من معتقد صحيح أو سقيم، بقراءتنا لعلمهم، فتقرأ مثلاً ترجمة واصل بن عطاء الغزال وعمرو بن عبيد وجهم بن صفوان وابن أبي دؤاد وأمثال هؤلاء من المعتزلة والجهمية ومن غيرهم وتعرف عقيدته الفاسدة وسوء حاله، وتقرأ ترجمة لشخص تنطق بعلمه وزهده وورعه، وترجمته مشرقة تحبه في الله، وتتمنى لقاءه يوم القيامة وأمثال هؤلاء، كل يشرحه حاله وعلمه.

فترجمة الإنسان علومه ناضجة بما هو عليه، كل إناء بما فيه ينضح، «ما أسرَّ أحد سريرة إلا أظهرها الله ﷻ على صفحات وجهه وفلتات لسانه».

**وقوله (.. في نديٍّ)،** أي: في سائر مجتمعات الناس، فالصالحون علمهم يتذاكره الناس ويعلمون حالهم وغير الصالحين أيضاً يتذاكرهم الناس ويعلمون حالهم وهذا يبين على أن الإنسان إن قدم خيراً أثر ذلك في دنياه وأخراه والناس ينقلون تلك المقالات في كتبهم وفي كلماتهم وفي محاضراتهم ولا يزال الناس

يقولون: قال الإمام أحمد، وقال ابن المبارك، وقال الأوزاعي، وسفيان الثوري، وغير هؤلاء، يتناقلون عنهم ماكتبوه، وما وثق في كتب الآثار.

(وَيُكْتَبُ عَنْكَ يَوْمًا إِنَّ كَتَبْتَ) ويذكرونهم بالجميل وعلماء السلف يذكرون بالجميل ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل.



## تشديد الساكن أنفع من تشديد المساكين

قال الناظم رحمه الله :

(٣٣) وَمَا يُغْنِيكَ تَشْيِيدُ الْمَبَانِي إِذَا بِالْجُهْلِ نَفْسَكَ قَدْ هَدَمْتَ

قال تعالى: ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾ [الليل: ١١]، فالذي يتردى في المعاصي وفي الجهل ماذا سيغنيه المباني أو غير المباني، فإنه قد هدم نفسه قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَرًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الأحقاف: ٢٦].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾ وَثُمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ طَعَوْا فِي الْبِلَادِ ﴿١١﴾ فَآكْتَرُوا فِيهَا الْفُسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْعِرْصَادِ ﴿١٤﴾﴾ [الفجر: ٦ - ١٤].

وقال تعالى: ﴿وَعَادًا وَثُمُودًا وَقَدْ بَيَّنَّا لَكُم مِّن مَّسْكِنِهِمْ وَزَيَّنَّا لَهُمُ الشَّيْطَانَ أَعْمَاهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾ وَقُرُونِ وَفِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٣٨ - ٤٠].

فتشييد المباني والعناية بالدنيا دون عناية ببناء الروح وبناء العلم والهداية،  
 هذا التشييد ما يغني عنك قال تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ  
 مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَأُمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ  
 ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ [المسد: ١ - ٥].





## جهل من فضل العلم على المال

قال النازم رحمته الله :

(٣٤) جَعَلَتِ الْمَالُ فَوْقَ الْعِلْمِ جَهْلًا لَعَمْرُكَ فِي الْقَضِيَّةِ مَا عَدَلْنَا

فعلا؛ الذي يفضل المال على العلم تلك إذا قسمة ضيزى، ما عدل في القسمة وإلا فالأصل أن العلم أساس كل خير دنيوي وأخروي، أما المال كما قال تعالى: ﴿قُلْ مَنَعَ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء: ٧٧].

وقال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «الدُّنْيَا مَتَاعٌ، وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا: الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ»<sup>(١)</sup> وقوله ﷺ: «مَا لِي وَلِلدُّنْيَا، مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا كَرَائِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا»<sup>(٢)</sup>.

يعني كمسافر يستظل فيها فالدنيا هذه عبارة عن ظل يستظل بها الإنسان فلا يعادل بها العلم الذي هو أفضل شيء على وجه الأرض لمن صلحت نيته، ليس كالعلم شيء لمن صلحت نيته – كما قال الإمام أحمد رحمته الله، وإذا تحدث السلف عن العلم فإنما يعني به علم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فهو أشرف العلوم على الإطلاق، علم نجاة من النار علم هداية.



(١) أخرجه مسلم (١٤٦٧) عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه.

(٢) الحديث أخرجه والترمذي (٢٣٧٧) وأحمد في المسند (٣٩١/١) وآخرون من حديث ابن مسعود وهو صحيح، وصح أيضا عن ابن عباس رضي الله عنه مرفوعا أخرجه أحمد (٣٠١/١).

قال الناظم رحمه الله :

(٣٥) وَبَيْنَهُمَا بِنَصِّ الْوَحْيِ بَوُّنٌ سَتَعَلَّمُهُ إِذَا (طَه) قَرَأْتَا

نظرية الجهال نظرية قاصرة على حسب ما عاشوا عليه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ قُرُونًا كَانَتْ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ الْكُتُوبِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ۖ﴾ (٧٦) وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ۖ﴾ (٧٧) قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ۗ أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ قُوَّةً وَأكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ۖ﴾ (٧٨) فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ۖ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا لَبِيتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قُرُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ۖ﴾ [القصص: ٧٦-٧٩].

هذه نظرية قاصرة، ونظرة العلماء أبعد مارأوا هذا حظ عظيم، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ۖ﴾ (٨٠) فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ۖ﴾ (٨١) وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَابُ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَيَقْدِرُ لَوْ لَا أَنَّ مِنَ اللَّهِ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بَنَّا وَيَكَانَهُ لَا يَقْلِحُ الْكَافِرُونَ ۖ﴾ [القصص: ٨٠-٨٢].

ومعنى ذلك أن العلم له شأن عظيم، والمال وإن كان له شأن إلا أن المساواة بين العلم والمال وبين أهل العلم وأهل المال أيضا مساواة ما هي عادلة قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَؤُلَا الْأَلْبَبِ ۖ﴾ [الزمر: ٩].

وقال تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ۝١٩ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ۝٢٠ وَلَا الظُّلُمُوتُ وَلَا الْحُرُورُ ۝٢١ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾ [فاطر: ١٩ - ٢٢].

(وَبَيْنَهُمَا بِنَصِّ الْوَحْيِ بَوْنٌ) أي: فرق واسع، فالمال: عبارة عن نعمة من نعم الله التي يستعين به الإنسان على طاعة الله وعلى العلم، فإذا خلا عن هذا المعنى صار ضرراً على صاحبه.

وقوله (ستعلمه إذا طه قرأتا): أي قوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]، وكذا ستعلمه إذا قرأت كتاب الله سواء في طه أو في غيرها من الآيات الدالة قال تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۗ وَالْبَاقِيَةُ الصَّالِحَةُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [سورة الكهف: ٤٦].

وقال تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ بَنَاتُهُ ثُمَّ يَهِيغُ فَرَقْدَهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا ۚ وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ ۚ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْعُورِ ۚ﴾ [الحديد: ٢٠].

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۚ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۗ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ﴾ [آل عمران: ١٤].



قال الناظم رحمه الله :

(٣٦) لَئِنْ رَفَعَ الْغَنِيُّ لِوَاءَ مَالٍ لَأَنْتَ لِوَاءَ عِلْمِكَ قَدْ رَفَعْتَا

(٣٧) وَإِنْ جَلَسَ الْغَنِيُّ عَلَى الْحَشَايَا لَأَنْتَ عَلَى الْكَوَاكِبِ قَدْ جَلَسْتَا

الحشايَا: يعني المجالس المرفهة والناعمة

(لَأَنْتَ عَلَى الْكَوَاكِبِ قَدْ جَلَسْتَا) : قال تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ

وَالَّذِينَ ءَاتَوْا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: ١١].

وفي الحديث: «إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ بِهِ الْآخَرِينَ». رواه مسلم.



## تفضيل العلم على المال من جميع جوانبه

قال الناظم رحمته الله :

(٣٨) وَإِنْ رَكِبَ الْجِيَادَ مُسَوَّمَاتٍ      لَأَنْتَ مَنَاهِجَ التَّقْوَى رَكِبْتَا  
(٣٩) وَمَهُمَا افْتَضَّ أَبْكَارَ الْغَوَانِي      فَكَمْ بِكَرٍّ مِنَ الْحِكْمِ افْتَضُّتَا

**قوله (وان ركب الجياد مسومات.. إلخ)** وهذا أيضا مقارنة، يعني: هب أنه يركب الجياد المسومات، وأنت لازلت في تقوى الله ﷻ بركوبك على الهدى فهنيئا لك.

**وقوله (ومهما افتضَّ أبكار الغواني.. إلخ):** أي: أنت مع العلوم، كل حين تخرج علوما للمسلمين تبينها للناس فما أنت فيه أشد راحة مما هو فيه، لا سيما وهذه راحة نفسية، راحة علمية، راحة دينية، فهذا تفضل على مجرد التمتع بمتاع الدنيا من نساء وغيرها.



## معرفة ما عند الله تغني الفقير

قال الناظم رحمه الله :

(٤٠) وَلَيْسَ يَضُرُّكَ الْإِقْتَارُ شَيْئًا إِذَا مَا أَنْتَ رَبَّكَ قَدْ عَرَفْتَ

(٤١) فَمَاذَا عِنْدَهُ لَكَ مِنْ جَمِيلٍ إِذَا بِفَنَاءٍ طَاعَتِهِ أَنْحَتَا

**قوله: ( وَلَيْسَ يَضُرُّكَ الْإِقْتَارُ شَيْئًا )** الإقتار: قلة مال وقلة ذات اليد، نعم

لا يضررك الفقر مادمت قد اتقيت الله سبحانه وتعالى

**قوله: ( إِذَا مَا أَنْتَ رَبَّكَ قَدْ عَرَفْتَ )** (ما) هنا زائدة لأنها بعد إذا:

يا طالبًا خذ فائدة بعد إذا (ما) زائدة

(إذا ما أنت ربك قد عرفت): أي عرفته معرفة حقيقية بأسمائه وصفاته، وآلائه، ونعمه، ومخلوقاته، وآياته الكونية، وآياته المنزلة، عرفت ربك سبحانه وتعالى، بينما هذا الذي ما عرف الله سبحانه وتعالى فإنه كثر ماله أو قل مازال في عماية، أنت لا يضررك الفقر، لا يضررك الإقتار مادمت مع الله سبحانه وتعالى وفي طاعته.

**قوله (فَمَاذَا عِنْدَهُ لَكَ مِنْ جَمِيلٍ .. إِذَا بِفَنَاءٍ طَاعَتِهِ أَنْحَتَا)** يعني قد

أعد الله لك من شيء جميل ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وكان النبي ﷺ يصلي وراءه أهل الصفة ثم يسقط أحدهم من قامته من

الخصاصة، فيصلي ﷺ وينصرف إليهم ويقول لهم: «لو تعلمون ما لكم عند الله لأحببتم أن تزدادوا فاقة وحاجة»<sup>(١)</sup>، وإنما نظرة الناس نظرية قاصرة، وإلا فإن ما أعد الله للمؤمنين كما قال رسول الله ﷺ: «لَمَْوْضِعُ سَوَاطِئِ أَحَدِكُمْ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»<sup>(٢)</sup>، «وَاقْرَءُوا إِن شِئْتُمْ ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْفَيْكَمَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥] الآية».

وعنه ﷺ قال: «إِنَّ لِلْمُؤْمِنِ فِي الْجَنَّةِ لَخَيْمَةً مِنْ لَوْلُؤَةٍ وَاحِدَةٍ مُجَوَّفَةٍ طُولُهَا سِتُّونَ مِيلًا لِلْمُؤْمِنِ فِيهَا أَهْلُونَ يَطُوفُ عَلَيْهِمُ الْمُؤْمِنُونَ فَلَا يَرَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا» متفق عليه.

وكم ذكر الله في كتابه مما أعده للمؤمنين.

**(لَكَ مِنْ جَمِيلٍ):** أي من شيء جميل من الحور أو القصور أو البساتين أو مما أعده الله في الجنة مما يتضمنه قوله تعالى ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِمَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧]. فما يضرك الإقتار.



(١) الحديث أخرجه والترمذي (٢٣٦٨) وأحمد في المسند (١٨/٦) من حديث فضالة بن عبيد وهو في

الصحيح المسند لشيخنا رحمه الله.

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٥٠).

## التأكيد على أهمية قبول النصح

قال النازم رحمه الله :

(٤٢) فَقَابِلْ بِالْقَبُولِ صَحِيحَ نُصْحِي فَإِنْ أَعْرَضْتَ عَنْهُ فَقَدْ خَسِرْتَ

لا شك في ذلك، نصح مفيد يستفيد منه البادئ وغير البادئ بلا شك، «إن من الشعر لحكمة».

قال تعالى: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ۚ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ۚ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ۚ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا ۗ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ۚ﴾ [الشعراء: ٢٢٤-٢٢٧].

**وقوله (صحيحٌ نصحي):** أي: أن هذا نصح صحيح أنا أصدقك فيه، وهو نصح صحيح مبني على أدلة الكتاب والسنة، فقابله بالقبول، قال رسول الله ﷺ: «الَّذِينَ النَّصِيحَةُ». قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ». رواه مسلم.

وأنباء الله كان أحدهم يقول: ﴿وَأَنْصَحْ لَكُمْ﴾ [الأعراف: ٦٢]، ﴿وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ [الأعراف: ٦٨]، فهم نصحاء.

أنبياء الله نصحاء الأمة، وهكذا النصيحة غنيمة تعتبر لمن ظفر بها قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كُنَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أَخْرِجُوا مِنْ دِينِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾



مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا لَا تَأْتِيَنَّهُمْ مِّنْ لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ [النساء: ٦٦ - ٦٨].

اظفر بهذه النصيحة واقبلها قال رسول الله ﷺ: «وإنَّ اللهَ لَيُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ» رواه البخاري.

في قصة الشيطان أنه كان يأخذ من مال الصدقة الذي كان حارسا عليه أبو هريرة رضي الله عنه وكل ما قبض عليه يترحم ويذكر أن له عيالاً فيتركه ويرحمه، ثم في آخر مرة قال له دعني أعلمك آية إذا قرأتها لا يقربك شيطان فعلمه آية الكرسي فقال له رسول الله ﷺ: «صدقك وهو كذوب»، سيما ممن عرف بالخير والصلاح.



## حقيقة الدنيا

قال النازم رحمه الله :

(٤٣) وَإِنْ رَاعَيْتَهُ قَوْلًا وَفِعْلًا      وَتَاجَرْتَ إِلَٰهَ بِهِ رَجَحْتَ  
(٤٤) فَلَيْسَتْ هَذِهِ الدُّنْيَا بِشَيْءٍ      تَسُوُّوكَ حِقْبَةً وَتَسُرُّ وَقْتًا

**قوله (وَإِنْ رَاعَيْتَهُ قَوْلًا وَفِعْلًا.. إلخ) :** اسمع وكن على قناعة بالحق وأهله.

قال مالك: أنا على بصيرة من ديني اذهب إلى شاك مثلك.

أنا لك ناصح، زن الناس بالأعمال أما الكلام كما قال رسول الله ﷺ : «مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أَوْتُوا الْجَدَلَ» **رواه الترمذي.**

**قوله (فَلَيْسَتْ هَذِهِ الدُّنْيَا بِشَيْءٍ) :** فعلا «لو كانت تزن عند الله جناح

بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء»، تأمل هذا الحديث، وهكذا «كن في الدنيا

كأنك غريب أو عابر سبيل»، ومَرَّ النبي ﷺ بجدي أسك ميت فقال رسول الله

ﷺ : «أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ هَذَا لَهُ بِدْرُهُمْ؟» فَقَالُوا: مَا نُحِبُّ أَنَّهُ لَنَا بِشَيْءٍ، وَمَا نَصْنَعُ

بِهِ؟ قَالَ: «أَتُحِبُّونَ أَنَّهُ لَكُمْ؟» قَالُوا: وَاللَّهِ لَوْ كَانَ حَيًّا، كَانَ عَيًّا فِيهِ، لِأَنَّهُ أَسَكُّ،

فَكَيْفَ وَهُوَ مَيِّتٌ؟ فَقَالَ: «فَوَاللَّهِ لِلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ، مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ» **رواه مسلم.**



قال الناظم رحمه الله :

(٤٥) وَغَايَتُهَا إِذَا فَكَّرْتَ فِيهَا      كَفَيْتُكَ أَوْ كَحْلَمِكَ إِذْ حَلَمْتَ

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾ [الروم: ٥٥].

(كفيتك أو كحلمك إن حلمت): استثمر هذه الحياة في طاعة الله، بحيث إذا انتقلت منها يكون معك زاد طيب في الدار الآخرة وإلا فالخسارة كل الخسارة ما معك شيء كأنه حلم، حتى الذين عمّروا أكثر من مائة سنة ومائتي سنة كل ذلك ما كأنه عاش في هذه الدنيا.



## التعجب ممن يحب الدنيا وهي

### سجنه

قال الناظم رحمه الله :

(٤٦) سُجِنَتْ بِهَا وَأَنْتَ لَهَا مُحِبٌّ فَكَيْفَ تُحِبُّ مَا فِيهِ سُجِنَتْما ؟

ومعناه على أن الإنسان ييغض السجن لما فيه من ضيق يحصل له فيه.

أما قول النبي يوسف عليه الصلاة والسلام: ﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ﴾ [يوسف: ٣٣]. أي: على ما في السجن من شدة فدعوتهن لي إلى هذا أشد عليّ، وتقديم السجن وما يحصل فيه من ضرر أهون عليّ من أن أقع في الفاحشة، والدنيا هذه سجن كما قال رسول الله ﷺ : «الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ، وَجَنَّةُ الْكَافِرِ» رواه مسلم.

فأنت فيها أيها المؤمن مسجون، ولا يتعارض هذا مع قول الله عز وجل: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٩٧].

فيقال كيف يكون مسجوناً وهو في حياة طيبة وعده الله بها، يقال مهما كان فيه من حياة طيبة بالنسبة لما أعد الله له في الجنة يعد مسجوناً لقول النبي ﷺ : « قَالَ اللَّهُ: أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ. فَاقْرَءُوا إِن شِئْتُمْ: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا

يَعْمَلُونَ ﴿السجدة: ١٧﴾. متفق عليه. وقال تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿السجدة: ١٧﴾.

فمن هنا أنت في هذه الدنيا ما دمت من أصحاب الإيمان الصلاح والهدى ماهي دارك، أنت فيها إلى دار أعظم وأنعم، وفي الصحيح عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُؤْتَى بِأَنعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً، ثُمَّ يُقَالُ: يَا ابْنَ آدَمَ، هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ. وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيُصْبَغُ صَبْغَةً فِي الْجَنَّةِ، فَيَقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ، هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ، مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ، وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ». رواه مسلم.

والشاهد أنه ينسى جميع ما صار له من آلام وأحزان وغير هذا مما حفت به الدنيا كما دل عليه خبر رسول الله ﷺ: «حُبِبَتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ، وَحُجِبَتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ» متفق عليه.

ومما يدل على أنها سجن لكن هذا السجن كما تقدم بالنسبة لما هو قادم عليه، وإلا فإن المؤمن مهما حصلت له من آلام يرجو من الله خيرا فيخفف ذلك عنه قال تعالى: ﴿وَلَا تَهْزُؤُوا فِي أَبْغَاءِ الْقَوْمِ إِنَّ تَكُونُوا تَأْلُمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلُمُونَ كَمَا تَأْلُمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٠٤].

ونقل ابن عبد الهادي وغيره عن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أنه حين سجن قال: ما يصنع بي أعدائي أنا سجنى خلوة، وإخراجي من ديارى سياحة، وقتلي شهادة، ما يصنع بي أعدائي، فلما كان محتسبا هان في عينه كل ذلك واعتبر ذلك

خيرا، وذكر أهل العلم أن المحن في أهل الهدى منح، يعتبرها الصالحون المحتسبون منحا، فإذا صبر واحتسب هان عليه ذلك، فهذا لا يدل أن الحياة الطيبة ما يحصلها شيء من الآلام بل تحصل آلام قوله تعالى: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَوةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧]، هو في حياة طيبة مادام في عبادة ربه على مرض أو عافية، في حياة طيبة على سقم أو ألم، على صحة أو مرض، ويؤيد هذا قول النبي ﷺ كما في صحيح مسلم من حديث صهيب رضي الله عنه: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءٌ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءٌ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ».

هو في خير دائما وهو في حياة طيبة ومع هذا فهو في هذه الدنيا بالنسبة لآخرته سجين ويؤيد هذا الحديث أنه مسجون ما أخرجه صاحب الصحيح عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إِذَا وُضِعَتِ الْجَنَازَةُ وَاحْتَمَلَهَا الرَّجَالُ عَلَى أَعْنَاقِهِمْ، فَإِنْ كَانَتْ صَالِحَةً قَالَتْ: قَدِّمُونِي، وَإِنْ كَانَتْ غَيْرَ صَالِحَةٍ قَالَتْ: يَا وَيْلَهَا، أَتَيْنَ يَذْهَبُونَ بِهَا؟ يَسْمَعُ صَوْتَهَا كُلُّ شَيْءٍ، إِلَّا الْإِنْسَانَ وَلَوْ سَمِعَهُ صَعِقَ» رواه البخاري.

خرج من سجن واستبشر، وتأمل كيف بعض الناس إذا احتضر كيف يبرق وجهه إذا بُشِّرَ بما أعد الله له إلا خوف عليهم ولا هم يحزنون، فإنك ترى ملامح السرور في وجهه، ويؤيد هذا قول النبي ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ» جاء عن عدد من الصحابة، فهو يحب أن يلقي ربه كما قال بعض الصحابة: غدا نلقى الأحبة محمدا وصحبه، فكانوا يستبشرون، وفاطمة رضي الله عنها أتت إلى أبيها تزوره فلما رآها وكانت مشيتها لا تخطى مشيته تشبه

مشيت النبي ﷺ قال: مرحبا بابتتي ثم قام وأجلسها بجانبه ثم همس في أذنها فبكت، ثم همس أخرى فاستبشرت فعجبت عائشة قالت: عجبت من بكاء وفرح فأسرت إليها بعد موت النبي ﷺ وما أخبرتها بالسر فلما مات قالت ما ذاك فقالت: أخبرني أنه مقبوض فبكيت فإن جبريل عليه السلام دارسه العام مرتين وكان يدارسه كل عام مرة وإني مقبوض فبكيت، قالت: فقال إنك أول أهلي لحوقا بي فضحكت، فهي استبشرت بلقاء الله بخروجها من هذه الدنيا لأن المؤمن في سجن في هذه الدنيا فيفرح بلقاء ربه وفي الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا؛ إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ، وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ». فهو فرح.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ (١٦٩) ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۚ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (١٧٠) ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٩ - ١٧١].

كل هذا يفيد أنه إن خرج من هذه الدنيا فرح كأنه خرج من سجن مظلّم مع أنه في هذه الحياة الدنيا يكون في حياة طيبة كما وعده الله، والله يدافع عنه، والله يكرمه وهو في خير بالنسبة لغيره في الدنيا، ولكن ما أعد الله له في الجنة أعظم.



## التذكير بالموت والاستعداد لما بعده

قال الناظم رحمه الله :

(٤٧) وَتُطْعِمُكَ الطَّعَامَ وَعَنْ قَرِيبٍ سَتَطْعَمُ مِنْكَ مَا مِنْهَا طَعِمْتَ

(٤٨) وَتَعْرِى إِنْ لَبِسْتَ بِهَا ثِيَابًا وَتُكْسَى إِنْ مَلَإَسَهَا خَلْعًا

**قوله (وَتُطْعِمُكَ الطَّعَامَ وَعَنْ قَرِيبٍ.. سَتَطْعَمُ مِنْكَ إِنْخ) :** تطعمك: أي: أنت تأكل في هذه الدنيا الطعام وتمتع بأنواع الأطعمة مما أحل الله لك في هذه الدنيا، وعن قريب هذا اللحم كله الذي أنت تغذيه يذهب إلى التراب، تأكله الدود، وتطعم منك الأرض ما منها طعمت، قال تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ [طه: ٥٥].

**قوله (وَتَعْرِى إِنْ لَبِسْتَ بِهَا ثِيَابًا.. إِنْخ) :** وتعري إن لبست لها: ثياب إعجاب وثياب غرور وثياب بهرج بعيدة عن تقوى الله فأنت عريان كما قال النبي ﷺ: «كَاسِيَاتُ عَارِيَاتٍ مُمِيلَاتٌ، مَائِلَاتٌ رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ، لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا، وَإِنْ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا» رواه مسلم.

وقال النبي ﷺ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرِّ قَدِ اقْتَرَبَ، فَتُحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدَمٍ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلَ هَذِهِ» وَحَلَّقَ بِإِصْبَعِهِ الْإِبْهَامِ وَالَّتِي تَلِيهَا، قَالَتْ



زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَتَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: «نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الْخَبْثُ» متفق عليه.

وفي حديث آخر قال: «من يُوقِظُ صَوَاحِبَ الْحُجَرَاتِ؟ رُبَّ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٍ فِي الْآخِرَةِ» رواه البخاري، أي: كاس في الدنيا باللباس والزينة وفي الآخرة عار من الحسنات.

وتأمل حال قارون، قال تعالى: ﴿إِنَّ قُرُونًا كَانَتْ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ٧٦﴾ وَأَبْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي ۗ أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمْ الْمَجْرُمُونَ ﴿٧٨﴾ فخرج على قومه في زينته ۖ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَلِيتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قُرُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ [القصص: ٧٦-٧٩].

فتمنى أولئك هذه الزينة وخسف الله به الأرض.

بينما رجل يمشي في حلة، تعجبه نفسه، مرجل جمته، إذ خسف الله به، فهو يتجلجل إلى يوم القيامة

قال رسول الله ﷺ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي فِي حُلَّةٍ، تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ، مُرْجَلُ جُمَّتِهِ، إِذْ خَسَفَ اللَّهُ بِهِ فَهُوَ يَتَجَلَجَلُ فِي الْأَرْضِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» (١).

(١) أخرجه البخاري (٥٧٨٩) ومسلم (٢٠٨٨) من حديث .

وحديث: إِنَّهُ يُعْجِبُنِي أَنْ يَكُونَ ثَوْبِي حَسَنًا، وَتَعْلِي حَسَنًا، قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْجَمَالَ، وَلَكِنَّ الْكِبَرَ؛ مَنْ بَطَرَ الْحَقَّ، وَغَمَصَ النَّاسَ» أخرجه مسلم (٩١) من حديق ابن مسعود رضي الله عنه، وجاء بنحوه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه : أن رجلاً أتى النبي ﷺ - وكان رجلاً جميلاً-، فقال: يا رسول الله ﷺ ، إني رجل حُبِّبَ إِلَيَّ الجمالُ، وأُعْطِيتُ منه ما ترى، حتى ما أُحِبُّ أَنْ يَفُوقَنِي أَحَدٌ، إِمَّا قَالَ: بِشِرَاكِ نَعْلِي، وإِمَّا قَالَ: بِشِسْعِ نَعْلِي، أَفَمِنْ الْكِبَرِ ذَلِكَ؟ قَالَ: «لَا، وَلَكِنَّ الْكِبَرَ مَنْ بَطَرَ الْحَقَّ وَغَمَطَ النَّاسَ»<sup>(١)</sup>.

واحذر أن يكون لباسك فيه خيلاء عن ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَى مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خِيَلَاءً»<sup>(٢)</sup>.

ومثله عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جر إزاره بطراً»<sup>(٣)</sup>.

سواء جر ثوباً أو إزاراً أو غير ذلك خيلاء واحذر أن ينزل على الكعبيين فإن هذا الحديث يبينه حديث النبي ﷺ : «مَا أَسْفَلَ مِنَ الْكَعْبَيْنِ مِنَ الْإِزَارِ فَفِي النَّارِ»<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه أبو داود رقم (٤٠٩٢) وأخرجه البخاري في الأدب المفرد (٥٥٦) وهو في "الصحيح المسند مما

ليس في الصحيحين" لشيخنا رحمته الله (٢٧٩٣).

(٢) أخرجه البخاري (٥٧٨٣) ومسلم (٢٠٨٥).

(٣) أخرجه البخاري (٥٧٨٨) ومسلم (٢٠٨٧).

(٤) أخرجه البخاري (٥٧٨٧).

**فإذا اقترن به الخيلاء كان أكثر إثما. هذان حالان:**

**الحال الأول:** واحد يسبل إزاره وما عنده خيلاء، فنقول له: أنت آثم معرض لهذا الوعيد ما نزل عن الكعبين ففي النار.

**الحال الثاني:** يسبل إزاره ومع ذلك يقترن به الخيلاء والفخر هذا عليه إثم:

إثم مخالفة النهي وإثم الخيلاء.

**(وَتُكْسَىٰ إِنَّ مَلَابِسَهَا خَلَعَتَا):** يعني: ليس معناه تمشي عريان - عيادا بالله - قال تعالى: ﴿يَبْنِيْٓءَادَمَ خُذُوْا زِيْنَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوْا وَاشْرَبُوْا وَلَا تُسْرِفُوْا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِيْنَ﴾ [الأعراف: ٣١]. وقال تعالى: ﴿يَبْنِيْٓءَادَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُورِي سَوَءَ تِكُمْ وَرِيْشًا وَلِبَاسُ الْتَقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَتِ اللّٰهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُوْنَ﴾ [الأعراف: ٢٦].

وثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «استر عورتك إلا من زوجتك أو ما ملكت يمينك»، ومر رسول على ناس يغتسلون عراة، قال: «سبحان الله؛ لا من الله استحيوا، ولا من رسوله استتروا»، ونبي الله موسى عليه الصلاة والسلام كان حيا سтира، فكان ينزل في مكان يغتسل فيه وبنو إسرائيل يغتسلون عراة.

كما في الصحيحين؛ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَغْتَسِلُونَ عَرَاةً يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، وَكَانَ مُوسَى يَغْتَسِلُ وَحْدَهُ، فَقَالُوا: وَاللَّهِ مَا يَمْنَعُ مُوسَى أَنْ يَغْتَسِلَ مَعَنَا إِلَّا أَنَّهُ أَدْرُ، فَذَهَبَ مَرَّةً يَغْتَسِلُ فَوَضَعَ ثَوْبَهُ عَلَى حَجَرٍ، فَفَرَّ الْحَجَرُ بِثَوْبِهِ فَخَرَجَ مُوسَى فِي إِثَرِهِ يَقُولُ: ثَوْبِي يَا حَجَرُ، حَتَّى نَظَرْتُ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِلَى مُوسَى فَقَالُوا: وَاللَّهِ مَا بِمُوسَى مِنْ بَأْسٍ، وَأَخَذَ ثَوْبَهُ

فَطَفِقَ بِالْحَجَرِ ضَرْبًا»، فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَاللَّهِ إِنَّهُ لَنَدَبٌ بِالْحَجَرِ، سِتَّةٌ أَوْ سَبْعَةٌ ضَرْبًا بِالْحَجَرِ.

فَأَنَّى اللهُ عَلَيْهِ قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾ [الأحزاب: ٦٩]، ومعناه أنهم اهتموه أن به أدرة أي انتفاخ في الخصية لما لم يغتسل معهم وإنما منعه من ذلك الحياء وفي صحيح مسلم عن عمران رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «الحياء خير كله».

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «الحياء من الإيمان». **قوله (وَتَكْسَى إِنْ مَلَإِ بِسَهَا خَلْعَتَا):** تكسى إن بهرجها خلعت وزهدت فيها وتجردت لطاعة الله ولبست لباسا بغير فخر ولا خيلاء تكسى.

أول من يكسى يوم القيامة نبي الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام . وقال الله عن أهل الجنة ﴿يُحْكَلُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [الحج: ٢٣].

فأنت تكسى إذا تزينت بزينة الإيمان، قال تعالى: ﴿وَزَيَّنَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ٧] وتكسى إن جانب أحوال الفخرين، الباغين، البطرين، هذا: تكسى إن ملابسها خلعت.



## العاقِل من انعط بغيره

قال النازم رحمه الله :

(٤٩) وَتَشْهَدُ كُلُّ يَوْمٍ دَفْنٍ خِلٌّ كَأَنَّكَ لَا تُرَادُّ بِمَا شَهِدْتَ

أي: أنك غافل، كأنه هو الذي سيذهب وأنت باق، فلماذا ما يبعث هذا المشهد فيك روحانية حية بحيث تقول: هذا اليوم وأنا متى؟ هذا في هذه الساعة وأنا في أي ساعة؟

قال تعالى: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ٣٤]. وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا أَرَادَ قَبْضَ رُوحِ عَبْدٍ بِأَرْضٍ جَعَلَ لَهُ بِهَا حَاجَةً». رواه أحمد.

كما قيل:

لَعَمْرُكَ مَا أَدْرِي وَإِنِّي لَأَوْجَلُ عَلَى أَيَّنَا تَغْدُو الْمَيِّتَةُ أَوَّلُ

فأنت ما تدري هل قبلك بقليل أو بكثير، وهب أنك عُمِّرت بعده سنين، ماذا يغني عنك ذلك؟ إن لم تنتبه وتستغل ذلك في العمل الصالح.

نبي الله موسى عليه الصلاة والسلام حين قيل له ضع يدك على جلد ثور ولك في كل شعرة سنة، - والثور فيه شعر لا يحصىه إلا الله - قال: وبعد ذلك؟ قال: الموت، قال: الآن إذا، فاختار في ذلك الحين، فإذا ختم الله للإنسان بخاتمة حسنة لهو الرابع تقدم أو تأخر.

عَنْ أَبِي بَكْرَةَ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ خَيْرُ النَّاسِ؟ قَالَ: «مَنْ طَالَ عُمُرُهُ، وَحَسُنَ عَمَلُهُ». قَالَ: فَأَيُّ النَّاسِ شَرُّ؟ قَالَ: «مَنْ طَالَ عُمُرُهُ، وَسَاءَ عَمَلُهُ»<sup>(١)</sup>.

يفيدك هذا تفكرا وتدبرا ونباهة وذكر لهادم اللذات الذي أمر رسول الله ﷺ بكثرة ذكره فقال ﷺ: «أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَادِمِ اللَّذَاتِ»، يَعْنِي الْمَوْتَ<sup>(٢)</sup>.



(١) رواه أحمد (١٩٠/٤) والترمذي (٢٣٢٩) وهو حديث صحيح .

(٢) الحديث أخرجه الترمذي (٢٣٠٧) والنسائي (١٨٣٤) وابن ماجه (٤٢٥٨) وأعله الدارقطني (٣٩/٨) بالأرسال وله شواهد يصح بها، منها؛ حديث ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ سئل أي المؤمنين أكيس قال: «أكثرهم ذكرا للموت» وهو حديث حسن تقدم تخريجه.

## كن في الدنيا كأنك عابر سبيل

قال النازم رحمه الله :

(٥٠) وَلَمْ تَخْلُقْ لِتَعْمُرْهَا وَلَكِنْ لِتَعْبُرَهَا فَجِدْ لِمَا خُلِقْتَ

(ولم تخلق لتعمرها) : هي ماهي دارك، يعني ماهي للعمران، قال تعالى:

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن: ٢٦ - ٢٧].

وإن حصل فيها عمران فوق محدود ثم هي للزوال، ثم لتعبرها فأنت عابر سبيل كما قال رسول الله ﷺ : «مَا لِي وَلِلدُّنْيَا، مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا كَرَاجٍ اسْتَظَلَ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا».

فهي عبارة عن ممر وقال ﷺ : «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ».

وشأن الغريب يكون مؤدباً كما في المثل العربي: (يا غريب كن أديباً)، فينبغي للإنسان أن يبقى في هذه الدنيا على أدب شرعي، يرضي الله سبحانه وتعالى، فأنت كن فيها كأنك غريب أو عابر سبيل.

فإذا أنت عابر ما أنت مقيم هنا قل مكثك وعبورك في الطريق أو كُثر، أنت ماشٍ في طريق كل يوم يمضي عليك تقطع صفحة من دفترك وتقطع مرحلة من سفرك.

الدقيقة لو مضت واللحظة لو مضت لا تستطيع إعادتها بل هي مضت من عمرك ولا يمكن عود ذلك.

## العزاء يكون لفوات الطاعة الباقية

### لا لفوات الدنيا الفانية

قال النازم رحمه الله :

(٥١) وَإِنْ هُدِمَتْ فَرْدَهَا أَنْتَ هَدَمًا      وَحَصَّنَ أَمْرَ دِينِكَ مَا اسْتَطَعْتَ  
(٥٢) وَلَا تَحْزَنْ عَلَى مَا فَاتَ مِنْهَا      إِذَا مَا أَنْتَ فِي أَخْرَاكَ فُزْتَ  
(٥٣) فَلَيْسَ بِنَافِعٍ مَا نِلْتَ مِنْهَا      مِنَ الْفَآئِي إِذَا الْبَاقِي حُرِمْتَ

**قوله (وَإِنْ هُدِمَتْ فَرْدَهَا أَنْتَ هَدَمًا.. إلخ)** يعني إذا هدمت فلا تبال، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: مَرَّ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ نُعَالِجُ خُصًّا لَنَا، فَقَالَ: «مَا هَذَا؟» فَقُلْنَا: قَدْ وَهَى فَنَحْنُ نُصْلِحُهُ. قَالَ: «مَا أَرَى الْأَمْرَ إِلَّا أَعْجَلَ مِنْ ذَلِكَ»<sup>(١)</sup>.

**(وَإِنْ هُدِمَتْ)** أنت لا تضجر مما حصل من نقص فيها **(فَرْدَهَا أَنْتَ هَدَمًا)** أي أقبل على ربك وأنت المفلح.

**(وَحَصَّنَ أَمْرَ دِينِكَ مَا اسْتَطَعْتَ)** اعمر آخرتك واهدم دنيك ولكن الشأن أن تهدم دنيك بمعنى عدم المبالاة بها وعدم الجشع فيها، لا على أنك لا تسعى في

(١) الحديث أخرجه والترمذي (٢٣٣٥) وأبو داود، وغيرهما وهو حديث صحيح مخرج في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين" لشيخنا رحمه الله (١/٦١٥).



أسباب الرزق فإن هذا قد يلجئك إلى أضرار، وقال تعالى: ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [المك: ١٥].

وقال تعالى: ﴿وَهُزِيَ إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ سَقَطَ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا ۖ فَكُلْ وَاشْرَبْ وَقَرِّ عَيْنًا ۖ فَمَا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ [مريم: ٢٥-٢٦].

وقال ﷺ: «لَوْ أَنَّكُمْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ؛ تَغْدُو خِمَاصًا، وَتَرُوحُ بِطَانًا»<sup>(١)</sup>.

والشاهد منه؛ «تغدو خماصا وتروح بطانا» أي: أن الطير مجبولة على طلب الرزق تغدو لطلبه فيرزقها الله وهو قادر على رزقها بغير غدو لكنه شرع الأسباب حتى للطير.

وكذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَي هَتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حَبِيبٌ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [القصص: ٢٧].

فعمل موسى بهذا السبب ورعى الغنم، ونبي الله داود كان حاددا قال تعالى: ﴿أَنْ أَعْمَلَ سَبْعَ نِسَاءٍ وَفِي السَّيِّئَاتِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [سبأ: ١١].

ونبي الله زكريا كان نجارا، وكثير من الأنبياء رعوا الغنم هذه كلها أعمال بالأسباب، وما أحسن قول شيخ الإسلام ﷺ: الاعتماد عليه شرك، وترك

(١) الحديث أخرجه الترمذي (٢٣٤٤) وابن ماجه (٤١٦٤) وأحمد في المسند (٣٠/١) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو حديث صحيح.

العمل بالسبب قدح في الشريعة.

ولكن المقصود: ما دمت في طاعته وعاملا بالأسباب فإن الله يرزقك ويكرمك، لا يكثر همك فيها، لا يكثر التفاتك إليها بحيث يصرفك ذلك ويلهيك عن عملك الصالح قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المنافقون: ٩].

**وقوله (وَحَصِّنْ أَمْرَ دِينِكَ)** حصن أمر دينك بالصيانة بالعقيدة الصحيحة، بالعلم النافع، بمجالسة الصالحين، حتى لا تختطف عليك هدايتك بشبهة أو شهوة، حصن أمر دينك بالعلم النافع والعمل الصالح وبذكر الله بحيث أنك لا تتسلط عليك الشياطين بوساوسها فإن الإنسان في حصن حصين مادام في ذكر الله قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَكْلَأُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ٤٢].

وفي حديث الحارث الأشعري قال: أوصاه بذكر الله، وقال: «وَأْمُرْكُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ وَتَحَصِّنْ فِيهِ، وَإِنَّ الْعَبْدَ أَحْصَنُ مَا يَكُونُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِذَا كَانَ فِي ذِكْرِ اللَّهِ وَتَحَصَّنَا، فَتَأْتِي حَصْنًا حَصِينًا، فَتَحَصَّنَ فِيهِ، وَإِنَّ الْعَبْدَ أَحْصَنُ مَا يَكُونُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِذَا كَانَ فِي ذِكْرِ اللَّهِ وَتَحَصَّنَا» رواه أحمد.

**قوله (وَلَا تَحْزَنْ عَلَى مَا فَاتَ مِنْهَا.. إلخ)**، وهذا واضح قال تعالى: ﴿لَا تَكِنَّا تَأْسُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد: ٢٣]، لا تحزن على ما فات منها فالذي فات منها قليل ويخلف الله بخير.

**قوله (فَلَيْسَ بِنَافِعٍ مَا نَلْتَمُنْهَا.. إلخ)** وهذا كلام صحيح قال تعالى: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّهُ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٦].

وقال تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَةُ الصَّالِحَةُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: ٤٦]. وقال تعالى: ﴿أَلْهَنَكُمْ التَّكَاثُرُ﴾ ① حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ② كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ③ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ④ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ⑤ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ⑥ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ⑦ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [التكاثر: ١-٨].



## التحذير من لهو القلوب والغفلة عن الغيوب

قال الناظم رحمه الله :

(٥٤) وَلَا تَضَحْكَ مَعَ السَّفَهَاءِ لَهْوًا فَإِنَّكَ سَوْفَ تَبْكِي إِنْ ضَحِكْتَ  
(٥٥) وَكَيْفَ لَكَ السُّرُورُ وَأَنْتَ رَهْنٌ وَلَا تَدْرِي أُنْفَدَى أَمْ غُلِقَتْ

قوله (وَلَا تَضَحْكَ مَعَ السَّفَهَاءِ لَهْوًا... إلخ) مجالسة السفهاء والضحك معهم، وضياع الوقت معهم، من المبكيات.

لأنك تجالس أناسًا لا تعود مجالستهم عليك بنفع وخير، ومن علم منه أنه ليس مجالسه إلا للضحك والمهزلة هذا قد يؤدي إلى المجون.

يأتي بما يضحك الناس من صدق أو كذب أو أشياء مستقبحة فلا تضحك مع السفهاء لهواً واللهو مذموم قال الله سبحانه وتعالى: ﴿أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ (١) مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنْ رَبِّهِمْ تُحَدِّثُ إِلَّا أَسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ (٢) لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ بُصُورُونَ ﴿[الأنبياء: ١ - ٣] وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْنِئُ الْجَاهِلِينَ﴾

[القصص: ٥٥].

وإذا كان الضحك على أشياء باطلة وغيبة أو مهزلة بمؤمن فهذا من المبكيات والسيئات، وهذا التأديب مهم للناشئ، فلو رأى إنساناً يعثر في ثوبه يسقط كم من أناس يضحكون من زلة تحصل للإنسان أو سقطة ذلك مما هو عشرة أو حاجة تحصلة، لا بل يقيمه أو يعينه، فما تضحكه هفوة أخيه وزلة أخيه وما كان من ذلك.

**قوله (وكيف لك السرور وأنت..! الخ)** بمعنى أنه ما المكلف للضحك الكثير فإن كثرة الضحك تमित القلب، وما المكلف لكثرة الانبهار بالدنيا والغفلة، وأنت رهن عملك إن خيراً فخير وإن شراً فشر، وأنت في هذه الدنيا لا تدري على ما تقدم، كان عمر بن الخطاب خليفة رسول الله ﷺ الملهم المبشر بالجنة ﷺ يقول: وددت أني أموت كفافاً لا لي ولا علي، ويقول:

ظلوم لنفسي غير أني مسلم أصلي صلاتي كلها وأصوم

**وقوله (أثفدى):** أي أتفدى من هذه الذنوب بشيء ينقذك أم أنك تكون سجيناً بسببها، فكم من إنسان غافل مات فندم قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ۚ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۚ﴾ [المؤمنون: ٩٩ - ١٠٠].

وقال تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ۚ﴾ (١١) ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ۚ﴾ (٢٠) ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ۚ﴾ (٢١) ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ۚ﴾ [ن: ١٩ - ٢٢].



## الأمر بطلب التوفيق من الله والاحلاص فيه

قال النازم رحمه الله :

(٥٦) وَسَلَّ مِنْ رَبِّكَ التَّوْفِيقَ فِيهَا وَأَخْلَصْ فِي السُّؤَالِ إِذَا سَأَلْتَا

**قوله (وَسَلَّ مِنْ رَبِّكَ التَّوْفِيقَ فِيهَا... إلخ)** سله بإخلاص وبإلحاح ولا تزال سائلا لربك في سراك وضرارك، التوفيق والتسديد، سرا وجهارا، ليلا ونهارا، راکعا ساجدا في أوقات الإجابة وأنت تسأل الله التسديد صلاتك إن لم تسدد فيها صارت باطلة، صيامك إن لم تسدد فيه صار باطلا، وفي جميع أحوالك، الكلمة الواحدة لو لم تسدد فيها صارت ضررا عليك، قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۖ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

وكان النبي ﷺ يُعلم هذا الدعاء: «اللهم اهديني وسددي»، التسديد والتوفيق وموافقة الصواب، الكلمة الواحدة إن لم تسدد فيها فالصمت خير منها، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ» متفق عليه.

إن لم تجد قولاً سديداً تقوله فصمتك عن غير السديد سداد

«قولوا خيرا تغنموا أو اسكتوا عن شر تسلموا»، فهكذا التوفيق تسأله من ربك، والله يا إخوان أن الإنسان لا يستطيع أن يقيم قلبه الذي بين جنبيه ويوجهه توجيهها صحيحا إلا أن يقيمه الله عَبْدَ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنه يَقُولُ: إِنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ كَقَلْبٍ وَاحِدٍ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ». ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ، صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ». رواه مسلم .



## آداب الدعاء وأسباب استجابته

قال الناظم رحمته :

(٥٧) وَنَادِ إِذَا سَجَدْتَ لَهُ اعْتِرَافاً      بِمَا نَادَاهُ ذُو الثُّنُونِ ابْنُ مَتَّى  
(٥٨) وَلَا زِمَ بَابَهُ قَرْعاً عَسَاهُ      سَيَفْتَحَ بَابَهُ لَكَ إِنْ قَرَعْتَا

**قوله (وَنَادِ إِذَا سَجَدْتَ لَهُ اعْتِرَافاً... إلخ)** اعترافاً: أي اقراراً وتذلاً،  
وتعبداً، ففي البخاري (٦٣٠٦) عن شداد بن أوس بن أوس وليس له فيه إلا هذا  
الحديث أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ سَيِّدَ الْإِسْتِغْفَارِ أَنْ يَقُولَ الْعَبْدُ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي  
لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ  
مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ  
لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ».

وقوله فيه: «أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ» أي: اعترف بنعمتك، «وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي»  
أي: اعترف بِذَنْبِي.

دل على هذا النداء حديث رسول الله ﷺ: «فَأَمَّا الرُّكُوعُ فَعِظْمُوهَا فِيهِ الرَّبَّ  
ﷻ، وَأَمَّا السُّجُودُ فَاجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ، فَقَمِنْ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ» رواه مسلم  
قال رحمته «فقمِنْ» أي: فحري وجدير أن يستجاب لكم فهذا موطن إجابة.



**(وناد إذا سجدت له اعترافا)،** وليس في هذا الوقت فقط، في الثلث الأخير ناد ربك فقد ثبت في الصحيح عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا مَضَى شَطْرُ اللَّيْلِ أَوْ ثُلَاثُهُ يَنْزِلُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ سَائِلٍ يُعْطَى، هَلْ مِنْ دَاعٍ يُسْتَجَابُ لَهُ، هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ يُغْفَرُ لَهُ، حَتَّى يَنْفَجِرَ الصُّبْحُ».

ربنا سبحانه ينزل إلى السماء الدنيا فينادي بهذا النداء هل هل هل، وأنت في ذلك الحين ما تنادي، فكن من المنادين قال تعالى: ﴿تَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [السجدة: ١٦].

توفق بإذن الله فكم تلتبس عليك من أمور إذ لم تنادي فيها ربك وتتضرع إليه سبحانه بتلك الأمور من أين لك التوفيق قال تعالى: ﴿يَتَأَيَّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥].

والله ذكاءك ما ينفعك، مهما كان إلا أن تكون مع الله، لا ذكاء، لا مال، لا جاه، لا منصب، من كان مع الله كان الله معه، وناد إذا سجدت له اعترافا، اعترافا بفضله، اعترافا بنعمته وهدايته وتوفيقه، واعترافا بذنبك وتقصيرك في العبودية تذلا وخضوعا وانكسارا بين يديه، بما ناداه ذو النون بن متى يعني يونس ابن متى عليه السلام، قيل ذو النون باعتبار الحوت الذي التقمه، فالنون هو الحوت العظيم كما ذكر المفسرون.

قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾ (١٤٣) ﴿لَلَيْتَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الصفات: ١٤٣ - ١٤٤].

وذى النون عليه الصلاة والسلام غاضب قومه أنهم ما استجابوا له، ما أطاعوه فتركهم وذهب وهو ظان بالله الظن الحسن أنه لن يضيق عليه قال تعالى: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ أي لن يضيق عليه ﴿فَكَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ، وَكَذَلِكَ نُضَيِّقُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ، هو في عدة ظلمات كان فيها ومع ذلك استجاب الله سبحانه وتعالى ندائه وهذا الدعاء من أسباب الاستجابة وهو من أدعية الكرب والهم إذا حصل للإنسان كما فرج الله عن ذي النون عليه الصلاة والسلام فهذا كذلك، وكذلك ننجي المؤمنين، سواء من همه أو غمه، أو كرب، أو ضيقه، أو فقره، أو التباس أمور عليه لحديث سعد بن أبي وقاص: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «دعوة ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، فإنه لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له». الحديث أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة (٦٥٦) والترمذي (٣٥٠٥) وأحمد في المسند (١٤٦٢) وآخرون من طريق يونس السبيعي، قال: حدثنا إبراهيم بن محمد بن سعد، قال: حدثني والدي محمد عن أبيه سعد، وهذا سند صحيح رجاله ثقات إلا يونس حسن الحديث وقد توبع عند البزار (٣/ ٣٦٣) وهو في صحيح شيخنا (٣٧٩).

وهو يشير إلى أن الإنسان في حالة سؤاله أنه يقدم بين يديه تضرعا فهذا من أسباب الإجابة - التضرع - قال تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ

الْمُعْتَدِينَ ﴿[الأعراف: ٥٥].

وَأَلَّا يَكُونَ الصَّوْتُ مَرْتَفَعًا وَقَوْلُهُ نَادِ أَيُّ: ادْعُهُ وَلَيْسَ مَعْنَاهُ الصِّيَاحُ بِالْدُّعَاءِ.

يَا رَسُولَ اللَّهِ أَقْرِبْ رَبَّنَا فَنُتَجَاهِيهِ أَمْ بَعِيدَ فَنُنَادِيهِ؟

قَالَ أَنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ لِأَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَحْلَتِهِ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُ لَكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: ٦٢].

**قَوْلُهُ (وَلَا زِمَ بَابُهُ قَرَعًا عَسَاهُ... إلخ)** هذه الفقرات يُعَلِّمُ فِيهَا كَيْفَ يَضْرَعُ الْإِنْسَانُ إِلَى رَبِّهِ وَمَا السَّبَبُ الَّذِي يَجْعَلُ دُعَاءَهُ مُجَابًا:

**أولاً:** يَسْأَلُ بِالْحَاحِ، يَسْأَلُ رَبَّهُ التَّوْفِيقَ وَالتَّسْدِيدَ وَمَغْفِرَةَ الذُّنُوبِ.

**ثانياً:** الْإِخْلَاصُ، أَنَّهُ يَكُونُ مُخْلِصًا فِي دُعَائِهِ، وَيُنَادِي رَبَّهُ يَقُولُ: يَارَبَّ يَارَبَّ كَمَا جَاءَ فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ: «يَمْدُ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ يَارَبَّ يَارَبَّ».

قَالَ تَعَالَى: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَلَدِيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي دُرِّيَّتِي ۖ إِنَّي بُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأحقاف: ١٥].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءَ﴾ [إبراهيم: ٤٠].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۖ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ۖ أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

ولا تدع وتنقطع، هذا من أسباب الملل ومن أسباب عدم الإجابة، يقول دعوت ودعوت فلم يستجب لي، ولكن ادع فأنت تدع كريما سبحانه وتعالى، أنت تدعو رحيمًا بك لن يترك عملك ودعاءك، والدعاء عبادة تتعبد لله به فاستمر على الدعاء وهذا الدعاء ستجد الإجابة فيه إن شاء الله لأن الله وعد بذلك فلا تعجز، وقد سمع النبي ﷺ داع يدعو فقال: عجل هذا أي أنه استعجل في دعائه بمعنى أن العجلة تفوت الإجابة، إذا دعا أحدكم فليبدأ بحمد الله والثناء عليه ثم يصلي على النبي ﷺ ثم ليسأل حاجته، فتأمل دعاء الفاتحة كيف تقدمها الحمد والثناء والتبجيل لله سبحانه وتعالى ثم بعد ذلك الأدعية فصارت من أفضل الأدعية دعاء الفاتحة، وتأمل أدعية الأنبياء كيف يتوسلون والصالحون كذلك بأعمالهم الصالحة.

قال تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ (١٩٣) رَبَّنَا وَآئِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ [آل عمران: ١٩٣ - ١٩٤].

فقدم التوسل بعملك الصالح الذي بينك وبين الله، والثناء على الله سبحانه مع رفع اليدين؛ فإن الأصل رفع اليدين في الدعاء.

كما ثبت بشواهد عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ رَبَّكُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي مَنْ عَبْدُهُ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صَفْرًا»<sup>(١)</sup>.

(١) رواه الترمذي (٣٥٥٦) وأبو داود (١٤٨٨) واللفظ له، وابن ماجه (٣٨٦٥) وآخرون.

## الأكثر من ذكر الله وعدم التسويف

قال النازم رحمه الله :

(٥٩) وَأَكْثَرُ ذِكْرُهُ فِي الْأَرْضِ دَابَّاءٌ  
(٦٠) وَلَا تَقُلِ الصَّبَا فِيهِ مَجَالٌ  
لِيُذَكِّرَ فِي السَّمَاءِ إِذَا ذَكَرْتَ  
وَفَكَرَ كَمْ صَغِيرٍ قَدْ دَفَنْتَا

**قوله (وَأَكْثَرُ ذِكْرُهُ فِي الْأَرْضِ دَابَّاءٌ... إلخ)** وهذا بناء على قول الله عز وجل ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢].

وأيضا عن أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا يَحْكِي عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ، أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ، ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَمَنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ، ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ»<sup>(١)</sup>. فأت تذكر الله في ملأ بني آدم تذكر الله جهرا أو سرا وهو يذكرك في الملأ الأعلى؛ فهذا الجزاء من جنس العمل، فإذا ذكرت ربك ذكرك وإذا شكرت ربك شكرك، قال تعالى: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ [النساء: ١٤٧]، وإنه والله لمن دواعي الفرح أنك تذكره فيذكرك وتشكره فيشكرك، من أنت؛ ولكن هذا من كرم رب العالمين سبحانه وتعالى أن يكرم عبده حين يذكره فيذكره الله.

**قوله (وَلَا تَقُلِ الصَّبَا فِيهِ مَجَالٌ... إلخ)** وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَآذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ [لقمان: ٣٤]. ولا تدري متى يأتيك الأجل في صغرك في كبرك في أي حال.

(١) أخرجه البخاري (٧٤٠٥) ومسلم (٢٦٧٥).

## توجيه الناظم النصيحة لنفسه

قال الناظم رحمه الله :(٦١) وَقُلْ لِي يَا نَصِيحٍ لَأَنْتَ أَوْلَى  
بُنُصْحِكَ لَوْ بَعْقَلِكَ قَدْ نَظَرْتَا

نصح من نصحه في هذه المنظومة ثم رجع على نفسه ويقول له: أنت يا أيها الناصح أولى أن تنصح نفسك وقل لي يا نصيح لأنت أولى، بنصحك لو بعقلك قد نظرنا.

ومعناه: أنه لا ينبغي لإنسان أن ينصح وهو مرتكب لما نصح فيه قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾ [الصف: ٢-٣].

وقال تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤].

قال السفاريني رحمه الله :

ومن نهى عما له قد ارتكب      فقد أتى مما به يقضي العجب  
فلو بدا بنفسه فذاها      عن غيرها لكان قد أفادها

فليس أحد من الناس أرفع من النصيحة، فالنصيحة دين كما في حديث تميم الداري رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ». قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَيِّمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ». رواه مسلم .

وسائر من له عقل يرى أنه هو أحق بامتنال الخير من أن يأمر الناس به وهو عنه بعيد كما قرأ النبي ﷺ ليلة أسري به أنه أناس تشرشر أشداقهم فقال: من هؤلاء قالوا: هؤلاء خطباء أمتك الذين يقولون ما لا يفعلون فهم يتكلمون ومع ذلك لما خالفوا عوقبوا، والعقل هو القلب، قال تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُون لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ [الحج: ٤٦].



قال الناظم رحمه الله :

(٦٢) تُقَطِّعُنِي عَلَى التَّفْرِيطِ لَوْماً      وَبِالتَّفْرِيطِ دَهْرَكَ قَدْ قَطَعْتَ  
(٦٣) وَفِي صِغَرِي تُخَوِّفُنِي الْمَنَايَا      وَمَا تَدْرِي بِحَالِكَ حَيْثُ شِخْتَا  
(٦٤) وَكُنْتَ مَعَ الصَّبَا أَهْدَى      فَمَا لَكَ بَعْدَ شَيْبِكَ قَدْ نُكِسْتَ

ذكروا أن أبا الفرج بن الجوزي طلب منه المماليك في ذلك البلد أن يحث الناس على تحرير الرقاب فلم يفعل، فلما تيسر له مملوك وأعتقه؛ خطب خطبة هائلة أعتق بسببها أعداد المماليك، فقالوا: ما الذي أخرجك إلى هذا الوقت؟ قال: ما وجدت ما أعتقه فلما تيسر لي أعتقته ونصحت بما طلبتم.

وإنما الشاهد أنه كلما كان وعظه مرادفاً لقوله كان أدعى للقبول.

مواعظ الواعظ لن تقبلا      حتى يعيها قلبه أولاً  
يا قوم من أظلم من واعظ      خالف ما قد قاله في الملا  
أظهر بين الناس إحسانه      وبارز الرحمن لما خلا  
**قوله (وَفِي صِغَرِي تُخَوِّفُنِي الْمَنَايَا)** أي: أنت من باب، أولى وأولى من يتعظ وأحق من يتذكر هو المعلم والداعي والواعظ.

**قوله (وَكُنْتَ مَعَ الصَّبَا أَهْدَى سَبِيلاً.. إلخ)**

نظير هذا قول الشاعر:

آه من دهر خؤون أهله      لا يرون العلم للدين شعارا  
طلبوا علماً بماضي غيرهم      حالهم أحسن إذ كانوا صغارا  
فإذا ما الشيب في أذقانهم      ملؤوا الآفاق ظلمًا وبوارا



فهذا حال بعض الناس يطلب العلم ويكون حاله أحسن فإذا كبر وحصل له  
من الخير ساء حاله وانقلب عكس ما كان من قبل.

**قوله (وَكُنْتُ مَعَ الصَّبَا أَهْدَى سَبِيلًا.. فَمَا لَكَ بَعْدَ شَيْبِكَ قَدْ نَكُتْنَا)**

أي: في طلبك وتمسكك وخيرك فمالك بعد شببك قد نكثت أي: رجعت من  
الكور إلى الحور.



## الابن الصغير يعظ الأب الكبير

قال الناظم رحمته الله:

(٦٥) وَهَذَا أَنَا لَمْ أَخْضُ بَحْرَ الْخَطَايَا كَمَا قَدْ خُضْتَهُ حَتَّى غَرِقْتُ  
(٦٦) وَلَمْ أَشْرَبْ حَمِيًّا أَمْ دَفِرٍ وَأَنْتَ شَرِبْتَهَا حَتَّى سَكِرْتَ  
(٦٧) وَلَمْ أَحْلُلْ بِوَادٍ فِيهِ ظُلْمٌ وَأَنْتَ حَلَلْتَ فِيهِ وَانْهَمَلْتَ  
(٦٨) وَلَمْ أَنْشَأْ بِعَصْرِ فِيهِ نَفْعٌ وَأَنْتَ نَشَأْتَ فِيهِ وَمَا انْتَفَعْتَ

الأب الكبير يعظ نفسه على لسان الصغير.

**قوله (وها أنا لم أخض بحر الخطايا)** أي: في هذا السن المبكر ما صنعت  
مثلك، أما أنت فقد تورطت في الخطايا، وخضت بحر الخطايا حتى غرقت فيه.

والخطايا لا ينبغي أن يحتقرها الإنسان ويحتقر ركوها؛ فإنها - وإن صغرت -  
فهي عند الله عظيمة، كما قال تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ۖ وَكُلُّ صَغِيرٍ  
وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ﴾ [القمر: ٥٢ - ٥٣].

فهو عند الله محفوظ لصاحبه، يكون في ميزان سيئاته يوم القيامة، وكذلك  
العمل الصالح يوم القيامة في ميزان حسناته، قال تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى  
الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يُوزِنُنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا  
كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩].

وما أحسن ما قيل:

خَلَّ الذُّنُوبَ صَغِيرَهَا      وَكَبِيرَهَا فَهُوَ التَّقَى  
وَاصْنَعْ كَمَا شِ فَوْقَ أَرْ      ضِ الشُّوكِ يَحْذِرُ مَا يَرَى  
لَا تَحْقِرَنَّ صَغِيرَةً      إِنَّ الْجِبَالَ مِنَ الْحَصَى

وهو يعاتب نفسه، رجع على نفسه يعاتبها وأنه بعد أن صار كبيراً تَلَطَّخَ بالذنوب، فإذا كيف تخاطب الناس، وتخاطب هذا الصغير وأنت قد خضت بحر الخطايا.

**قوله (وَلَمْ أَشْرَبْ حَمِيًّا أُمَّ دَفَرٍ.. وَأَنْتَ شَرِبْتَهَا حَتَّى سَكِرْتَ) يعني:**  
المعاصي، وكذلك أيضاً التورط في ذلك، وأنت شربتها حتى سكرت، أي: سكرت بالدنيا وحب الدنيا، وليس معناها وأنت شربت الخمر، ولكن المقصود أنت سكرت بحب الدنيا، فمن أهل الدنيا من يكون سكران بها؛ حتى إن عقله قد لا يكاد يفكر إلا فيها.

**قوله (وَلَمْ أَحُلْ بِوَادٍ فِيهِ ظُلْمٌ.. وَأَنْتَ حَلَلْتَ فِيهِ وَأَنْتَ هَكَذَا):**

يعاتب نفسه بدل ما يعاتب طالبه، ونصح طالبه، ثم رجع يعتب على نفسه.

**قوله (وَلَمْ أَنْشَأْ بِعَصْرِ فِيهِ نَفْعٌ.. وَأَنْتَ نَشَأْتَ فِيهِ وَمَا انْتَفَعْتَ):**

أي أنه ما انتهاز الفرص: أنا ما تيسر لي علماء، وأنت كنت في زمن فيه علماء، وأنت نشأت فيه وما انتفعت، فهو يعتب على نفسه يقول: فأنا جالست أناساً لو كان عندي انتفاع لانتفعت أكثر، وهذا من تواضعه؛ لَوْ مَثَلُ نَفْسِهِ وَعَتَابَهُ لِنَفْسِهِ.



## معاتبه من لازم الصالحين ولم يتأثر

بهم

قال النازم رحمه الله :

(٦٩) وَقَدْ صَاحَبْتُ أَعْلَامًا كِبَارًا وَلَمْ أَرَكْ اقْتَدَيْتَ بِمَنْ صَحِبْتَا

الإلييري صاحب علماء فطاحل، أعلامًا كبارًا ويقول لنفسه: لم أرك اقتديت بمن صحبت، قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدْهُمْ أَقْتَدَهُ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٩٠].

فالصالحون فيهم أسوة، كعب ابن مالك يقول ذكروا لي رجلين فيهم أسوة، قال تعالى: ﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [لقان: ١٥]. فيستفيد الإنسان من الصالحين وعلمهم، وهديهم، وخيرهم، ونفعهم. يعاتب نفسه على التقصير.

ونظيرها: قصيدة للشيخ أحمد النجمي رحمه الله وهو يعتب على نفسه يقول:

أَحْيَمْدُ يَا كَسُولَ عَنِ الْمَعَالِي	وَيَا رَقَادَ فِي سُودِ اللَّيَالِي
تَرَوْمُ الْمَجْدَ مَعَ كَسَلٍ وَعَجْزٍ	أَضَعْتَ الْعَمَرَ فِي طَلَبِ الْمَحَالِ
تَشَاغَلَ بِالتَّوْفَاهِ ثُمَّ تَرَجَوُ	لِحَاقًا مَعَ أُولِي الْاهْمِ الْعَوَالِي
فَمَا إِثَارُكَ الدُّنْيَا بِخَيْرٍ	وَلَوْ كَانَ اصْطِنَاعًا لِلْحَلَالِ
وَخَيْرُ مِنْهُ فِي الْآخِرَى وَأَجْدَى	بَأَنْ تَحْظَى بِخِدْمَةِ ذِي الْجَلَالِ
فَسَلِّهِ الْعَوْنَ إِدْمَانًا مُلِحًّا	يَحِبُّ اللَّهُ مِلْحَاحَ السُّؤَالِ

## نداء الكتاب ونذير الشيب

قال النازم رحمه الله :

(٧٠) وَنَادَاكَ (الْكِتَابُ) فَلَمْ تُجِبْهُ  
(٧١) لَيْقُبُحْ بِالْفَتَى فَعُلُ التَّصَايِي وَأَقْبَحُ مِنْهُ شَيْخٌ قَدْ تَفَتَّى وَنَهَنَهَكَ الْمَشِيبُ فَمَا انْتَبَهَتَا

قوله (وَنَادَاكَ (الْكِتَابُ) فَلَمْ تُجِبْهُ... وَنَهَنَهَكَ الْمَشِيبُ فَمَا انْتَبَهَتَا) وكل هذا من تواضعه وإلا فأهل العلم مجيبون لكتاب الله ولسنة رسول الله ﷺ ، ومن كلام عمر رضي الله عنه يقول:

ظلم لِنَفْسِي غَيْرَ أَنِّي مُسْلِمٌ أَصْلِي صَلَاتِي كُلُّهَا وَأَصُومُ  
وقال: وددت أني كنت كفافاً لا لي ولا عليّ وأمثال ذلك مما يخاف فيه الصالحون من عواقب الأمور عليهم،

(وَنَهَنَهَكَ الْمَشِيبُ) أي: المشيب قد علاك المشيب فما انتبهت، كما قالوا وجاءكم النذير قالوا المشيب وقالوا النذير ما هو أعم من ذلك، والحاصل أن المشيب وقار ولا ينبغي نتف الشيب كما جاء في الحديث عن النبي ﷺ قَالَ: «لَا تَتَنَفُّوا الشَّيْبَ، فَإِنَّهُ نُورُ الْمُسْلِمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» رواه أبو داود والترمذي.

وأنه وقار، والشيب إعلام لك على أنك كبير في السن وما بقي من عمرك إلا القليل قال رسول الله ﷺ : «أَعْمَارُ أُمَّتِي مَا بَيْنَ السَّتِّينَ إِلَى السَّبْعِينَ، وَأَقْلَهُهُمْ مَنْ يَجُوزُ ذَلِكَ».

**قوله (لَيَقْبُحُ بِالْفَتْى فَعْلُ التَّصَابِي.. وَأَقْبَحُ مِنْهُ شَيْخٌ قَدْ تَفَتَّى) فعلا**

المعاصي مقبوحة، ومذمومة، ليقبح بالفتى فعل التصابي، الفتى يعني بتصابي أو يتجاهل ولا يعمل أعمال العقلاء بل يعمل أعمال الجهلاء، يقبح به ذلك، ولكن أقبح منه شيخ قد تفتا أي: قد تجاهل، ينسى أنه شايب ويجعل نفسه كأنه فتى صغير ويدخل في ذلك صبغ الشعر بالسواد، يغيره من أبيض إلى أسود، وقال عليه السلام: «غيروا هذا الشيب وجنبوه السواد» <sup>(١)</sup>.

فهو يريد يتفتا أن يطلع فتيا ما كأنه قد بيض شعره، ويعتبر من التشيع بما لم يعط وفي الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «الْمُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ، كَلَابِسِ ثَوْبِي زُورٍ». وقد ورد في ذلك وعيد شديد من حديث ابن عباس بسند صحيح «يَكُونُ قَوْمٌ يَخْضُبُونَ فِي آخِرِ الزَّمَانِ بِالسَّوَادِ كَحَوَاصِلِ الْحَمَامِ، لَا يَرِيحُونَ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ» <sup>(٢)</sup> ومن ضعفه وهم في تضعيفه باعتبار أنه من طريق عبد الكريم بن مالك الجزري وظنه عبد الكريم ابن أبي المخارق، والجزري ثقة، وجاء مرفوعا، والمرفوع صحيح، ولشيخنا مقبل رحمته الله في ذلك رسالة جيدة مفيدة فيها نصح أثبت هذا الحديث وما كان في بابه، مثل حديث النبي ﷺ قال: «وجنبوه السواد»، في صحيح مسلم جاءت عدة آثار ورد على بعض من قال أن من سبغ بالسواد ما بلغته الحجة وأن الحجة عن رسول الله ﷺ قائمة وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا، وما كان من ذلك، فهي رسالة مفيدة، فلا ينبغي للإنسان أن يتصابي ويتفتى وهو ذو وقار، وذو شيب.

(١) أخرجه مسلم (٢١٢٠) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أبو داود والنسائي وأحمد في المسند (١٧٣/١) وآخرون.

## قال النازم رحمه الله :

(٧٢) فَأَنْتَ أَحَقُّ بِالتَّغْنِيدِ مِنِّي وَلَوْ سَكَتَ الْمُسِيءُ لَمَّا نَطَقْتَ  
(٧٣) وَنَفْسَكَ ذُمَّ لَا تَذُمَّمُ سِوَاهَا بَعِيبٌ فَهِيَ أَجْدَرُ مَنْ ذَمَّمْتَ

**قوله (فأنت أحق بالتغنييد مني..)** ومعنى أحق بالتغنييد وأحق باللوم مني لأنني في حالي عبارة عن صغير ربما ما قد حصل مني كبير شيء وأما أنت فقد حصل منك لاسيما على وقارك واللوم في حقك أكثر، فالصغير إذا عمل شيئاً اللوم في حقه أيسر، أما الكبير فاللوم في حقه أشد.

**قوله (ونفسك ذم لا تذمم سواها.. بعيب فهي أجدر من ذممتا)** الجرح والتعديل سلكه علماء الجرح والتعديل وأبانوا وذموا أهل الأهواء، وذموا الكذابين، والدجالين، ذموا من يستحق الذم، وفي كتاب الله عز وجل قال تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ [المسد: ١-٥]، وهكذا في سنة رسول الله ﷺ من ذلك كثير وقد أفردت في كتب مستقلة وذكر شيخنا رحمه الله في أول "الجامع الصحيح" جملة جيدة من أدلة الجرح والتعديل، ولكن ذم نفسك، أي: لمها، بالتقصير وعاتبها وأصلح من نفسك بما يعود عليك بالتواضع، وعدم التكبر.



## عدم الأمن من مكر الله

قال الناظم رحمه الله :

(٧٤) وَلَوْ بَكَتِ الدَّمَا عَيْنَاكَ خَوْفًا  
(٧٥) وَمِنْ لَكَ بِالْأَمَانِ وَأَنْتَ عَبْدٌ  
لِذُنُبِكَ لَمْ أَقُلْ لَكَ قَدْ أَمِنْتَ  
أُمِرْتَ فَمَا ائْتَمَرْتَ وَلَا أُطِعْتَ

قوله (وَلَوْ بَكَتِ الدَّمَا عَيْنَاكَ خَوْفًا.. إلخ) وفعلا ما أحد آمن، قال تعالى:  
﴿ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [الأعراف: ٩٩].

فلا يأمن الإنسان مكر الله فما يدري ماذا يختم له، كما في الحديث عن النبي ﷺ قال: «فَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ لَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ كِتَابُهُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، وَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ». متفق عليه.

الأعمال بالخواتيم، وقد كان السلف يخافون من سوء الخاتمة، نسأل الله أن يختم لنا ولمحبينا بالحسنى.

قوله (وَمِنْ لَكَ بِالْأَمَانِ وَأَنْتَ عَبْدٌ.. أُمِرْتَ فَمَا ائْتَمَرْتَ وَلَا أُطِعْتَ) أي:  
لابد لك من الخوف، لابد أن تكون خائفا لاسيما وأنت قد حصلت منك معاصي فإنه من دواعي الرجوع إلى الله ومن رحمة الله أن يموت الإنسان وهو خائف من ربه وطامع وراج رحمة، يجمع بين الخوف والرجاء فلا ينبغي للإنسان أن يكون آمنا مما جنت يده، ومن أعماله السيئة، ومتواكلا في جانب



من حيث إنه يتلى بجانب الإرجاء، وأيضا مفاده على أن من أمر وجب عليه أن يمثل ما أمر وأن يطيع الله ﷻ.

**قوله (أمرت فما اتتمرت ولا أطعنا)،** بمعنى أنك وقعت في مخالفات شرعية وتركت واجبات، لأن الذي يترك المأمور وقع في المحذور وهو المخالفة الشرعية، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَوْلَا أَنْ أَشَقَّ عَلَى أُمَّتِي أَوْ عَلَى النَّاسِ لَأَمَرْتُهُمْ بِالسَّوَالِكِ مَعَ كُلِّ صَلَاةٍ». متفق عليه.

وحديث: «أنه لوقتها لولا أن أشق عليكم»، أي: وقت العشاء نصف الليل، قالوا: ففيه أن الأمر يقتضي الوجوب، وقول الله: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]، دليل على ذلك.

فَالْوَاجِبُ الْمَحْكُومُ بِالثَّوَابِ فِي فِعْلِهِ وَالتَّارِكُ بِالْعِقَابِ.

ومن ترك ما أمر يكون عصي الله، فيكون واقعا في معصية ولا ينبغي له أن يأمن من جرّاء ذنوبه.



## الخوف من حبوط العمل

قال الناظم رحمه الله :

(٧٦) ثَقُلْتُ مِنَ الذُّنُوبِ وَلَسْتُ تَخْشَى لِجَهْلِكَ أَنْ تَخَفَّ إِذَا وُزِنَتْ

**قوله (ثَقُلْتُ مِنَ الذُّنُوبِ وَلَسْتُ تَخْشَى...)**

يعني مع ذلك لا تخشى أن يخف ميزانك، فإن من خفت موازينه كما قال الله عز وجل: ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ، فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١٠٢) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ، فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿[المؤمنون: ١٠٢ - ١٠٣].

وقوله خفت في هذا الموضع أي ليس فيها حسنات مكتوبة، لحبوط أعماله قال الله تعالى: ﴿فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا﴾ (١٠٥) ﴿[الكهف: ١٠٥].

وليس معناه أنه حسنات وضعت في كفة حسناته، وسيئات وضعت في كفة سيئاته، لأن الله عز وجل قال: ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ، فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١٠٢) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ، فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿[المؤمنون: ١٠٢ - ١٠٣].

والخلود في جهنم في شأن من له سيئات ولا شيء له من الحسنات، قال تعالى: ﴿وَقَدْ مَنَّا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ (الفرقان: ٢٣).

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الأنعام: ٨٨).

فهذا في حق من حُبط عمله في جهنم خالدون، أما من له حسنات وسيئات ومنها التوحيد والإسلام فإنه ليس خالداً في جهنم قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٦].

والمقصود هو التنبيه على قوله تعالى: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٣].

ولكن المقصود أنه لا حسنات له عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلَ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ». وَقَالَ: اقْرَأُوا: ﴿فَلَا نَقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزْنًا﴾ . متفق عليه.

أي مهما كانت ضخامته وليس له توحيد فإنه لا ميزان له ولا لأعماله، ولا قدر له ولا لأعماله، كلها محبوبة.

### وقوله (ثقلت من الذنوب ولست.. إلخ)

وقد كان الأئمة رحمة الله عليهم يخافون من النفاق، ويخافون من الشرك بل إبراهيم عليه الصلاة والسلام يقول في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥]. وهو إمام الحنفاء.

لكن شأن المؤمن يخاف من الذنوب وهو إمام الحنفاء قال ابن أبي مليكة: أدركت ثلاثين من أصحاب رسول الله ﷺ كلهم يخشى على نفسه النفاق، ما أحد منهم يقول إن إيمانه كإيمان جبريل وميكائيل، فهذا يدل على خوفهم من

المعاصي، وما خافه إلا مؤمن وما أمنه إلا منافق، فإذا شأن المؤمن أنه يخاف من ذنوبه فيرى أن الذنب الذي يقع فيه كأنه جبل ساقط عليه، أن الذنب يثقل عليه.

وأما الذي لا يبالي فإنه يرى الذنب كالذباب ينهره من على أنفه، ولهذا يكون جريئاً على المعاصي

**قوله (.... لجهلك أن تخف إذا وزننا)**

أي: يخف ميزانك قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ ⑥ ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ ⑦ ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ ⑧ ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ ⑨ ﴿[القارعة: ٦ - ٩]﴾. الآيات تدل على أن خفة الميزان هنا في الكافر، لا في شأن من له حسنات وتوحيد وحصل نقص في ميزانه، كمن يؤخذ من حسناته بسبب مظالم فمثل ذلك من أهل التوحيد معرض لرحمة رب العالمين.



## صل أمر الله ولا تصر على المعاصي يصلك بالتثبيت

قال الناظم رحمه الله:

(٧٧) وَتُشْفِقُ لِلْمَصْرِ عَلَى الْمَعَاصِي وَتَرْحَمُهُ وَنَفْسَكَ مَا رَحِمْتَ  
(٧٨) رَجَعْتَ الْقَهْقَرَى وَخَبَطْتَ عَشْوًا لَعْمُرِكَ لَوْ وَصَلْتَ لِمَا رَجَعْتَ

**قوله (وتُشْفِقُ لِلْمَصْرِ عَلَى الْمَعَاصِي)**

وهذا يعاتبه على أنه يجب أن يرحم نفسه قبل غيره، لاسيما وهو واقع في المعاصي وتجد بعض الخطباء ربما يأمر بالمعروف ولا يأتيه وينهى عن المنكر ويأتيه، ينبغي للواعظ أن يعتني بنفسه، والداعية إلى الله أن يعتني بنفسه من باب أولى.

**قوله (رَجَعْتَ الْقَهْقَرَى وَخَبَطْتَ عَشْوًا...)**

أي: أنك تنكص على عقبك وتتقهقر، الناس يتقدمون لطاعة الله وأنت تقهقر.

**(رَجَعْتَ الْقَهْقَرَى وَخَبَطْتَ عَشْوًا):** وهذا من علامات الانحراف كما قال رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ، وَكَآبَةِ الْمُنْقَلَبِ، وَمِنْ الْخَوْرِ بَعْدَ الْكُورِ، وَدَعْوَةِ الْمَظْلُومِ، وَسُوءِ الْمَنْظَرِ فِي الْأَهْلِ وَالْمَالِ». رواه مسلم.

فاستعاذ من الرجوع القهقري، والترنح، والرجوع للخلف، وهكذا بارك الله فيك أن يرجع يعرف ما كان ينكر، وينكر ما كان يعرف، وكان من دعاء ابن مسعود رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَتَاهُ بَيْنَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، وَعَبْدُ اللَّهِ يُصَلِّي، فَافْتَتَحَ النِّسَاءَ، فَسَحَلَهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ غَضًّا كَمَا أُنْزِلَ، فَلْيَقْرَأْهُ عَلَى قِرَاءَةِ ابْنِ أُمِّ عَبْدِ». ثُمَّ تَقَدَّمَ يَسْأَلُ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «سَلْ تُعْطَهُ، سَلْ تُعْطَهُ». فَقَالَ فِيمَا سَأَلَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ إِيْمَانًا لَا يَرْتَدُّ، وَنَعِيمًا لَا يَنْفَدُ، وَمُرَافَقَةً نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ ﷺ فِي أَعْلَى جَنَّةِ الْخُلْدِ. قَالَ: فَاتَى عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَبْدَ اللَّهِ لِيُشِيرَهُ، فَوَجَدَ أَبَا بَكْرٍ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ قَدْ سَبَقَهُ، فَقَالَ: إِنْ فَعَلْتَ، لَقَدْ كُنْتَ سَبَاقًا بِالْخَيْرِ. **رواه أحمد وابن ماجه، وهو حديث صحيح، والشاهد منها، «إيماننا لا يرتد»، أي: لا يكون بعد الإيمان هذا رده أو نكوص على الوراء، بعد أن كان صالحا معنقا، هذا بسبب الذنوب، كما دل عليه خبر رسول الله ﷺ: «لَا يَزَالُ الْمُؤْمِنُ مُعْنِقًا صَالِحًا مَا لَمْ يُصِبْ دَمًا حَرَامًا، فَإِذَا أَصَابَ دَمًا حَرَامًا بَلَغَ».** **رواه أبو داود.**

معناه أنه ينقطع، وربما رجع للخلف، وربما ضاق صدره، قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِٖٓ قَوْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبِهِم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الزمر: ٢٢].

وتقسو القلوب أيضا بسبب هذا التقهقر كما قال تعالى: ﴿فِيمَا نَقَضِهِمْ مِّثْقَلَهُمْ لَعْنَتُهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهَا وَسُوءَ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِٓ وَلَا نَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَأَصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ١٣].

فسبب هذا التقهقر هو المعاصي ونقض الميثاق، وحصل لهم أنهم رجعوا للخلف، ولعنوا، قال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [المائدة: ٧٨].

وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الصف: ٥]، فمن زاغ رجع للخلف وتقهقر، وضعف إيمانه فإن الإيمان يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، قال تعالى: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَتُ الصَّلَاحَتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا﴾ [مريم: ٧٦].

وإذا حصل معاصي، وحصل مخالفات، حصل التقهقر في الإيمان وفي غيره، فإذا ضعف الإيمان ضعف الإنسان كله، ضعف بصره عن الحفظ، وسمعه عن السماع الصحيح، ولسانه عن النطق الصحيح، وضعف ورعه، وضعف خوفه من الله، وضعفت جميع أموره الصالحة، إذا ضعف إيمانه، بسبب ضعف الإيمان.

**(وخبطت عشوا):** تخبط ما تدري فين تضرب، فهذا رجع كالتقهقر ويخبط عشوا بغير ما تضع الأقدام في مواضعها، والكلام في مواضعه، وما تسير خطوات رزينة ثابتة، فأنت مخلط، وشأن من رجع القهقرى أنه يخبط خبط عشواء، أنه يخلط ويخبط تجده مترنا.

**(لعمرك لو وصلت لما رجعتا):** تصلح: «وَصَلَّتْ» و: «وُصِلَتْ» أي: لو أنك وُفِّقْتَ وثبتك الله سبحانه وتعالى أي: وصلك، وأكرمك، ودافع عنك ما حصل لك ذلك الرجوع، ولكن بسبب عدم صلة الله لك، وعدم حفظ الله لك، تخبطت.

هكذا لو وصلت لما رجعتا أي: لو وصلت إلى إيمان قوي فإن بشاشته إذا خالطت الإيمان لا يرجعون بحول تعالى، ولكن ضعف إيمانك فرجعت، قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَهُ فِتْنَةٌ أُنْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الحج: ١١].





## سَلِ اللَّهَ يَعَامِلَكَ بِفَضْلِهِ وَلَا يَعَامِلَكَ

### بَعْدَهُ

قال الناظم رحمه الله :

(٧٩) وَلَوْ وَافَيْتَ رَبَّكَ دُونَ ذَنْبٍ      وَنَاقَشَكَ الْحِسَابَ إِذَا هَلَكْتَ  
(٨٠) وَلَمْ يَظْلِمَكَ فِي عَمَلٍ وَلَكِنْ      عَسِيرٌ أَنْ تَقُومَ بِمَا حَمَلْتَ

قوله (وَلَوْ وَافَيْتَ رَبَّكَ دُونَ ذَنْبٍ... وَنَاقَشَكَ الْحِسَابَ إِذَا هَلَكْتَ) الله

عليك نعم كثيرة من نوقش الحساب هلك كما ثبت ذلك عن النبي ﷺ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَيْسَ أَحَدٌ يُحَاسَبُ إِلَّا هَلَكَ». قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ، أَلَيْسَ يَقُولُ اللَّهُ ﷻ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۖ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾؟ قَالَ: «ذَلِكَ الْعَرَضُ يُعْرَضُونَ، وَمَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ هَلَكَ». رواه البخاري.

يعني: يناقش على كل نعمة هالك لا شك، ولكن العرض؛ أن يعرض عليه رب العالمين فعلت كذا يا عبدي، فعلت كذا يا عبدي، ألم تفعل كذا، يقول: نعم بارب، نعم يارب، حتى إذا ظن أنه هالك فيغفرها له ويسترها عليه، يبني عليه ستره، هذه عبارة عن تقرير له على ذنوبه مع ستر الله سبحانه وتعالى عليه، أما إذا نوقش في كل صغيرة وكبيرة، وحركة، وسكنة فعلها، ونوقش مقابل نعمة الله سبحانه وتعالى عليه ماذا عمل، يهلك،

ولو وافيت ربك دون ذنب وناقشك على نعم الله ﷻ التي أنعم بها عليك  
بماذا شكرته بها تكون مقصرا.

**قوله (ولم يظلمك في عمل ولكن... عسير أن تقوم بما حملتا):** قال  
تعالى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩].

ولكن عسير أن تقوم بما حملتا أي: بما أنعم الله به عليك، فما من نعمة  
تشكرها إلا وشكر تلك النعمة يحتاج منك إلى شكر، لأن الذي وفقك إلى ذلك  
هو الله سبحانه وتعالى القائل: ﴿وَمَا يَكُم مِّن نَّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ تُمْرًا إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ  
فَالَيْهِ تَجْتَرُّونَ﴾ [النحل: ٥٣].



## يوم الفصل

قال الناظم رحمه الله :

(٨١) وَلَوْ قَدْ جِئْتَ يَوْمَ الْفَصْلِ فَرْدًا وَأَبْصَرْتَ الْمَنَازِلَ فِيهِ شَتَّى  
(٨٢) لِأَعْظَمَتِ النَّدَامَةُ فِيهِ لَهْفًا عَلَى مَا فِي حَيَاتِكَ قَدْ أَضَعْتَا

**قوله (ولو قد جئت يوم الفصل فرداً.. وأبصرت المنازل فيه شتى) فردا**

أي: وحدك، قال تعالى: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ۚ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ۚ وَكُلُّهُمْ أَتَيْهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَرْدًا﴾ [مريم: ٩٣-٩٥]. كل يأتي بعمله لا يستطيع أن يدفع عنه قريب ولا بعيد قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ۚ وَصَاحِبِهِ وَبَنِيهِ ۚ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٤-٣٧] وأبصرت المنازل فيه شتى.

**قوله (لأعظمت الندامة فيه لهفاً.. على ما في حياتك قد أضعتا) يعني**

تأتي الله ﷻ فردا وترى منازل السابقين، والدرجات العلى للمؤمنين والجنة والنار، ترى أمامك خيرا كثيرا وهناك (لأعظمت الندامة) قال تعالى: ﴿وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ ۚ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [يونس: ٥٤]. هم يسرون الندامة، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ النَّعَابِ ۚ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ ۚ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التغابن: ٩].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ قَوْمٍ يَقُومُونَ مِنْ مَجْلِسٍ لَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ فِيهِ، إِلَّا قَامُوا عَنْ مِثْلِ جِيْفَةِ حِمَارٍ، وَكَانَ لَهُمْ حَسْرَةٌ» رواه أبو داود.

فيكون عليهم حسرة أنهم فرطوا وضيعوا، ولا شك أن هذا في حق من لم يدخل الجنة، أما من دخل الجنة فلا خوف عليه قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّكَ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢].

ولا يندم على ما حصل، كل من في الجنة منعم، وإن كان من فوقه في الدرجات العلى، لكن لا يتحسر، ولا يحسد، ولا يندم على أنه ما كان في ذلك الموضع والدرجات تختلف، وكلهم في نعيم مقيم قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ [الكهف: ١٠٧].

وآخر واحد يدخل الجنة له مثل الدنيا وعشر من أمثالها، وله ما اشتهت نفسه ولذة عينه، وماذا يريد بعد هذا، وإنما أهل الدرجات العلى، عَنْ سَهْلٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ الْغُرَفَ فِي الْجَنَّةِ كَمَا تَتَرَاءَوْنَ الْكُوكَبَ فِي السَّمَاءِ».

قَالَ أَبِي: فَحَدَّثْتُ بِهِ النُّعْمَانَ بْنَ أَبِي عِيَّاشٍ، فَقَالَ: أَشْهَدُ لَسَمِعْتُ أَبَا سَعِيدٍ يُحَدِّثُ، وَيَزِيدُ فِيهِ: «كَمَا تَرَاءَوْنَ الْكُوكَبَ الْغَارِبَ فِي الْأُفُقِ الشَّرْقِيِّ وَالْغَرْبِيِّ».

لتفاضل ما بينهما، فأكرم الله أهل الدرجات العلى ولم يحصل لأولئك غبن على أنك لو أعظمت الندامة فيه لهفا على ما في حياتك قد أضعتا وهذا والله أنه حاصل، فكم تذهب من أوقات، وكم تذهب من ساعات، وكم تذهب مما لا شك يخشى الندامة فيها، فحافظ بارك الله فيك ولنحافظ جميعا، ونسأله

التوفيق، والسداد، حافظ على حياتك من الضياع، حافظ على وقتك من الضياع، فإنها والله نادمة لا تعدلها ندامة، قال تعالى: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتٍ عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ﴾ ٥٦ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ٥٧ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿[الزمر: ٥٦-٥٨]. يريد يرجع.

وقال تعالى: ﴿حَقَّ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ ١١ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿[المؤمنون: ٩٩-١٠٠].

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق: ٢٢].



## شدة نار جهنم

قال الناظم رحمه الله :

(٨٣) تَفَرُّ مِنْ الْهَجِيرِ وَتَتَّقِيهِ  
 (٨٤) وَلَسْتَ تُطِيقُ أَهْوَنَهَا عَذَابًا  
 (٨٥) وَلَا تُكَذِّبُ فَإِنَّ الْأَمْرَ جَدُّ  
 فَهَلَّا مِنْ جَهَنَّمَ قَدْ فَرَرْنَا  
 وَلَوْ كُنْتَ الْحَدِيدَ بِهَا لَذُبْنَا  
 وَلَيْسَ كَمَا حَسِبْتَ وَلَا ظَنَّنَا

**قوله (ولست تطيق أهونها عذاباً...)** تفر من الهجير وتتقيه، يعني: يذهب ويستظل، وينظر حراً فيشغل المكيف ويتبرد، ويتقي الهجير، ويتقي الحر، ويذهب جسمه من الحر إذا اشتد قليلاً، لا إله إلا الله، ويتقيه بسائر ما يستطيع أن يتقيه به من وقايات الحر، وانظروا إلى اشتداد الحر إذا اشتد في أيام الصيف إذا انطفأت التهوية ساعات كيف الناس يلهبون، ويضيقون، ففكر في ضيق القبر، وفكر في عذاب جهنم والعياذ بالله وأنت لست بأمن، ما تدري ما يختم لك نسأل الله العافية، فهلا عن جهنم قد فررتا، اتقوا النار ولو بشق تمرّة، تفر بتوحيد الله، ففروا إلى الله، أي إلى الله بطاعته، وبإقامة دينه.

قال تعالى: ﴿فَفَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكَرِّمٌ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [الذاريات: ٥٠]. أين المفر؟ إلا إلى الله قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُعَذِّبُكُم بِالْعَذَابِ إِنَّ اللَّهَ يَأْخُذُ بِالْإِثْمِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [التوبة: ١١٨].

فتفر إلى الله ﷻ بطاعته، ففر بهذا من عذاب جهنم، ولا تطيق أهونها عذابا، أهون الناس عذابا يوم القيامة من توضع تحت أخمص قدميه جمرتان يغلي منهما دماغه، هذا أهون الناس عذابا، فما بالك بمن يضخم في النار حتى يكون ضرسه مثل جبل أحد، فكيف يكون الرأس وكيف تكون الجثة، كل ذلك والنار تأكل فيه قال تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ٥٦].

**قوله (وَلَوْ كُنْتَ الْحَدِيدَ بِهِ لَذُبْتَ)** الحديد يذاب في نار الدنيا، وهذه النار جزء من سبعين جزءا من نار جهنم، ماهي إلا جزء واحد مقابل أجزاء تلك النار ومع ذلك يوضع الحديد فيه فإذا به ينصهر ويصير يتقاطر كالماء.

**قوله (وَلَا تُكَذِّبُ فَإِنَّ الْأَمْرَ جَدُّ... وَلَيْسَ كَمَا حَسِبْتَ وَلَا ظَنَنْتَا)** الأمر ليس كما ظننت أنه بالهزل، فالأمر ما هو هزل، الأمر جد، فالله ما خلق الإنسان ليلعب، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَعِبٍ﴾ [الدخان: ٣٨].

فالكلام الذي جئناك به جد، ينبغي أن تأخذه بقوة وبجد، قال تعالى: ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٥].



## المعائب تورث الإنسان مقتا

قال الناظم رحمه الله :

- (٨٦) أَبَا بَكْرٍ كَشَفْتُ أَقْلَ عَيْبِي وَأَكْثَرَهُ وَمُعْظَمَهُ سَتَرْتَا  
 (٨٧) فَقُلْ مَا شِئْتُ فِي مِنَ الْمَخَازِي وَضَاعِفْهَا فَإِنَّكَ قَدْ صَدَقْتَا  
 (٨٨) وَمَهْمَا عِبْتَنِي فَلِفَرْطِ عَلَمِي بَيَاطِنِهِ كَأَنَّكَ قَدْ مَدَحْتَا  
 (٨٩) فَلَا تَرْضَ الْمَعَايِبَ فَهِيَ عَارٌ عَظِيمٌ يُورِثُ الْإِنْسَانَ مَقْتَا

**قوله (أبا بكر كَشَفْتُ أَقْلَ عَيْبِي.. إلخ)** قال: كشفت أقل عيبي وبقي عيوب كثيرة عندي، وأكثره ومعظمه سترتا، النصيحة كانت لولد له أو تلميذ له كنيته أبو بكر، أم أنه جعلها على صيغة أبي بكر باعتبار أنه نصح ونصح، وكل هذا محتمل والشأن هو نصيحة للمعلم والمتعلم، للتلميذ ومعلمه، وكذا للوالد وولده، وللناس أجمعين، وما أجملها من حياة، حياة التناصح، وحياة التواصي بالحق والتواصي بالصبر.

**قوله (فَقُلْ مَا شِئْتُ فِي مِنَ الْمَخَازِي ... وَضَاعِفْهَا فَإِنَّكَ قَدْ صَدَقْتَا )**

هذا من باب هضم النفس والتواضع لله وَجَلَّ جَلَالُهُ، وإلا فهو عالم ذو منزلة رفيعة.

**قوله (وَمَهْمَا عِبْتَنِي فَلِفَرْطِ عَلَمِي .)** أي: وإن عبتني فإني أعلم من نفسي مالم تعلمه من العيوب، وما ذكرته في يعتبر قليلا كأنك قد مدحت، وكما تقدم هذا من التواضع. **قوله (فَلَا تَرْضَ الْمَعَايِبَ فَهِيَ عَارٌ.. إلخ)** فلا ترض المعائب: من ذنوب أو نقائص أو مدام في الإنسان، فإنها عار ممقوت في الدنيا والآخرة.



قال النازم رحمه الله :

(٩٠) وَتَهْوِي بِالْوَجِيهِ مِنَ الثَّرِيَّا وَتُبْدِلُهُ مَكَانَ الْفَوْقِ تَحْتًا

ما أقبح المعاييب إذا وقع في مساوئ الأخلاق ولم يصن نفسه، فإنها تهوي بالإنسان الذي له وجهة من الثريا، وتبدله مكان الفوق تحتًا، هب أن إنسانا يشرب المسكر ثم يخرج ذلك الوجه.

وقس على ذلك سائر المعاييب، وسائر الشرور التي تحصل للإنسان، فلو أن الإنسان رأوه يأكل بشماله وهو وجهه فهو ينقص من أعين الناس الذين يعرفون الشرع ويعتبرون ذلك عيبا لضعف أدبه الشرعي، ولهذا ألف أهل العلم كتب الأدب ليكون الإنسان منها على مقام رفيع في العلم، وما كان مقاما رفيعا في العلم والسكينة ومكارم الأخلاق حتى لا يكون فيه شيء من تلك المعاييب، وإن كان النقص يحصل في الإنسان، لكن كل ما كان أعلم وأعمل بعلمه كان النقص فيه أقل من غيره، ومما يدل على ذلك قول رسول الله ﷺ : «كَمَلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ» متفق عليه.



## فضل الطاعات والنشأة عليها

قال الناظم رحمه الله :

(٩١) كَمَا الطَّاعَاتُ تُعْلِكُ الدَّرَارِي وَتَجْعَلُكَ الْقَرِيبَ وَإِنْ بَعُدْتَ  
(٩٢) وَتَنْشُرُ عَنْكَ فِي الدُّنْيَا جَمِيلاً فَتَلْقَى الْبِرَّ فِيهَا حَيْثُ كُنْتَ  
(٩٣) وَتَمْشِي فِي مَنَاكِبِهَا كَرِيماً وَتَجْنِي الْحَمْدَ مِمَّا قَدْ غَرَسْتَ

المعاصي تجعلك تحت، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِرٍ كَانَمَا أَغَشِيَتْ وَجُوهُهُمْ قِطْعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [يونس: ٢٧].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [الحج: ١٨].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ﴾ [المجادلة: ٢٠].

فالمعاصي تذل الشخص، سواء كانت قصورا في طاعات الله ﷻ، أو كان ارتكابا لفواحش، أو غير ذلك تذله.

والطاعات عكس ذلك: **(كما الطاعات تنعلك الدراري)** أي: تجعلك في

مكان رفيع، قال تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: ١١].

وقال ﷺ: «اعْلَمْ أَنَّكَ لَنْ تَسْجُدَ لِلَّهِ سَجْدَةً، إِلَّا رَفَعَ اللَّهُ لَكَ بِهَا دَرَجَةً، وَحَطَّ عَنْكَ بِهَا خَطِيئَةً» **رواه مسلم.**

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ: اقْرَأْ وَارْتَقِ، وَرَتَّلْ كَمَا كُنْتَ تَرْتَّلُ فِي الدُّنْيَا؛ فَإِنْ مَنَزِلَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرُؤُهَا». **رواه أبو داود.**

وكل ما كان الإنسان في الطاعات كان أيضا محل ثقة الناس، قال تعالى:

﴿فَسْتَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٧].

**(ثعلبك الدراري):** يعني: كأنك تطأ فوق الثريا.

قال القاضي عياض **رحمته الله** :

وَمِمَّا زَادَنِي شَرَفًا وَتَيْهًا      وَكَدْتُ بِأَخْمَصِي أَطَا الثُّرَيَّا  
دُخُولِي تَحْتَ قَوْلِكَ يَا عِبَادِي      وَأَنْ صَيَّرْتَ أَحْمَدِي لِي نَبِيًّا

ومن معاني ذلك أيضا أن الله يرفعه، قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَقَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانْشُزُوا يَرَفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: ١١]. شامل لرفعة الدنيا والآخرة.

**قوله (وتنشر عنك في الدنيا جميلا.. وتلقى البر فيها حيث كنت):** أي:

الطاعات، فإن من عمل طاعة يحبه الله وينادي يا جبريل إني أحب فلانا، فأحبه، قال: فيحبه جبريل ثم يوضع له القبول في الأرض، وينشر جميله، لأن الله وضع له القبول في الأرض بطاعة الله سبحانه وتعالى، ومن ذكر الله ذكره قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢]، وقال تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَيْنَا

رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَ الْأَعْرَضَ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ [المنافقون: ٨]، فتبتغي من الله سبحانه وتعالى.

**(وتلقى البر فيها حيث كنتا):** تلقى البر في طاعات الله ﷻ حيث كنت، أينما كنت وطاعة الله عز وجل يحيطك الله بها كما أحاط الله سبحانه بطاعته وذكره، وشكره ذى النون في ظلمات ثلاث، في بطن الحوت، وظلمات البحار، وظلمات الليل، وهو يقول: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين.

قال تعالى: ﴿وَذَا التُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَضِّبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

**قوله (وتمشي في مناكبها كريماً):** أي: في مناكب الأرض وأنت مكرم، بما أكرمك الله ﷻ به من الصيانة والديانة فإنها لشيء محمود عند صالح البشر وغيرهم، إلا من مسخت فطرتهم وإلا فالتمسك بدينه، المعروف بالصدق والأمانة، العامل بطاعة الله، المجتنب لمعصية الله، يمشي في مناكب الأرض كريماً،

**(وتجني الحمد مما قد غرستنا):** وممن له طوبى، طوبى للغرباء، وطوبى معناها أن له من الله عز وجل الطيب والثناء الحسن، وإن أبغضه بعض الناس، ولا تزال طائفة على الحق ظاهرين، هذه الطائفة تصدق على الواحد فأكثر كما قال البخاري، ومعنى ذلك أنه لا يزال منصوراً من الله، ولا يزال يلقي الحمد من الله سبحانه وتعالى، ومن صالح عباده.

## قال الناظم رحمه الله :

(٩٤) وَأَنْتَ الْآنَ لَمْ تُعْرِفْ بِعَابٍ      وَلَا دَنْتَسْتَ ثَوْبَكَ مُذْ نَشَأْتَا  
(٩٥) وَلَا سَابَقْتَ فِي مَيْدَانِ زُورٍ      وَلَا أَوْضَعْتَ فِيهِ وَلَا خَبَبْتَا

**قوله (وَأَنْتَ الْآنَ لَمْ تُعْرِفْ بِعَابٍ .. إلخ)** يشي الآن على الذي كناه بأبي بكر، وأنت الآن لم تُعرف بعاب، ما عُرف عنك عيب، وإن كان هناك شيء فيكون بين العبد وربّه، أما الآن في حال السن الصغيرة ما عرفت إلا بالنزاهة وبحب المساجد، كما في الحديث: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ومنهم شاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق بالمساجد» **متفق عليه**، وهكذا أيضا نشأ على القرآن، نشأ على السنة، نشأ على التمسك، ما علم منه إلا الخير، مذ نشأت.

**قوله (ولا سابقت في ميدان الزور)** كما يسابق أناس في الزور والكذب، والتلفيقات وما إلى ذلك من الحيل البطالة.

**(ولا أوضعت)** أي: أسرعت، أوضعوا خلالهم أي: أسرعوا،

**(ولا خببت)** أي: تخب خبا أي تمشي مشيا سريعا، لا جريت فيها وأسرعت، ومشيت خبا، ولا سابقت في ميدان زور ولا أوضعت، ولا أسرعت في الزور، لا بلسان الحال، ولا بلسان المقال، فيقول له: أنت على هذا الحال على خير، استمر على هذا الخير.



## شؤم المعاصي

قال الناظم رحمه الله :

(٩٦) فَإِنْ لَمْ تَنَأْ عَنْهُ نَشِبَتْ فِيهِ وَمَنْ لَكَ بِالْخَلَاصِ إِذَا نَشِبْتَ  
(٩٧) وَدَنَسَ مَا تَطَهَّرَ مِنْكَ حَتَّى كَأَنَّكَ قَبْلَ ذَلِكَ مَا طَهَّرْتَ

**قوله (فإن لم تنأ عنه نشبت فيه... إلخ)** الزور؛ إن لم تنأ عنه وتنه بقدر المستطاع نشبت بالزور، سواء كان بالقول أو بالفعل، ومن لك بالخلاص إذا نشبت بالزور، أو نشبت بالباطل، ربما لا تستطيع الخلاص، فكم من إنسان يقع في معصية ينشب فيها ولا يستطيع التخلص منها، ولكن تجنب ذلك وابتعد عنه، فربما تموت وأنت ما تخلصت من ذلك الزور، ومن الناس من يقول أعمل معصية وأتوب، وهذا التجرؤ على المعاصي لا يجوز، وما يدرية أنه يمد في عمره حتى يتوب أو يوفق للتوبة.

**قوله (ودنس ما تطهر منك حتى)** أي الزور الذي يقع فيه يدنسه ويوسخه، حتى كأنه ما تنظف، فإذا دنس عرض الإنسان، مهما لبس وتزين وتجميل ما يزال الدنس عليه، ولهذا تجد صاحب المكارم والذي يعمل بالأدلة منشرح الصدر، وذو المعاصي تجد عليه الغبرة بسبب ذلك، وترهقها فترة بسبب تلك الذنوب التي دنسته، مهما تطهر، ولو يغتسل باليوم خمس مرات، مهما تطهر وهو لم يتطهر من الذنوب، فإن ذلك لا ينفعه، كأنه ما تطهر.

(كَأَنَّكَ قَبْلَ ذَلِكَ مَا طَهَّرْنَا) : الطهارة قسمان :

❖ طهارة الظاهر من الأدناس.

❖ وطهارة الباطن من المعاصي، وأساخ الداخل من حسد، وكبر، وبغي وعدوان، وظلم، وما كان مما يتعلق بالباطن.



قال الناظم رحمه الله :

(٩٨) وَصِرْتُ أَسِيرَ ذَنْبِكَ فِي وَثَاقٍ وَكَيْفَ لَكَ الْفِكَاكُ وَقَدْ أُسِرْتَ  
(٩٩) وَخَفَ أَبْنَاءُ جِنْسِكَ وَاخْشَ مِنْهُمْ كَمَا تَخْشَى الضَّرَاغِمَ وَالسَّبَبَتَى

## قوله (وصرت أسير ذنبك في وثاق... وكيف لك الفكاك وقد أسرتنا)

بالتوبة إلى الله ﷻ، والذي هو أسير الذنب ولم يتب إلى الله هذا الذي هو أسير هواه، أما من تاب إلى الله ﷻ فقد قد فك وقد تخلص قال تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١].

## قوله (خف أبناء جنسك واخش منهم...! الخ): هذا الخوف خوف

طبيعي، ليس بمحرم، تخشى منهم من حيث أذاهم، وحسداهم، وشرهم، وفتنتهم لك، قال تعالى: ﴿فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ٢١]. وأيضا تخاف من الأذية (كما تخشى الضراغم) أي الأسود، ضراغم جمع ضرغام، (والسببتى) أي: النمر.





## فضل العزلة عن المعصية وأهلها ومكانها

قال النازم رحمته الله :

(١٠٠) وَخَالِطُهُمْ وَزَايِلُهُمْ حِذَارًا وَكُنْ كَ (السَّامِرِيِّ) إِذَا لُمِسْتَا  
(١٠١) وَإِنْ جَهِلُوا عَلَيْكَ فَقُلْ : سَلَامًا لَعَلَّكَ سَوْفَ تَسْلَمُ إِنْ فَعَلْتَا

**قوله (وخالطهم وزايلهم حذاراً) أي:** خالطهم ولكن بحذر، خالطهم فيما ينفعك وما يصلح لك، وزايلهم من حيث معاصيهم، وفتنهم.

**فالعزلة عزلتان:**

١ - عزلة الناس بالكلية، هذا لا يستطيع، وربما فرط الإنسان في جمعة، وجماعة، وأشياء واجبة فيكون هذا حراماً.

٢ - وعزلة المعاصي، والفتن، والاختلاط بالشر، وأماكن الباطل، وأماكن الزور، وهذه عزلة مطلوبة، هي اجتناب الباطل وأهله.

ومجالسة الحق، وأهل الحق والاستفادة مما عندهم من خير، ومجالسة العلماء وما كان من ذلك، فهذه المخالطة لازمة، من جمعة وجماعة، وطلب علم، وما كان من احتياجاته اللازمة من أسواق الناس ومصالحهم، وما كان من المخالطة اللازمة هذه هي التي قال رسول الله ﷺ : «الْمُسْلِمُ إِذَا كَانَ يُخَالِطُ

النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ، خَيْرٌ مِنَ الْمُسْلِمِ الَّذِي لَا يُخَالِطُ النَّاسَ وَلَا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ». رواه الترمذي.

**قوله (وَكُنْ كَ السَّامِرِيِّ) إِذَا تُمَسَّتَا** يعني: ابتعد عنهم، بحيث أنه لا مساس بينك وبينهم إلا في حدود طاعة الله، السامري مشرك وكان يقول لا مساس وذلك عذاب عليه من الله أن من مسه تهري لحمه ولا يكون ذلك للمؤمن.

**قوله (وَأَنْ جَهَلُوا عَلَيْكَ فَقُلْ : سَلَامًا... لَعَلَّكَ سَوْفَ تَسْلَمُ إِنْ فَعَلْنَا)** قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣]، فإنك إذا قابلت ذلك الأذى بالعفو، وبالصفح، وبالصبر، والسيئة تقابلها بصبر، فاعفُ واصفح حتى يأتي أمر الله، فقل سلام لعلك سوف تسلم إن فعلت،

قال الشاعر:

تنح عن القبيح ولا ترده      ومن أوليته حسنا فزده  
ستكفي من عدوك كل كيد      إذا كاد العدو ولم تكده

فإذا حصل منه كيد ولم وتكده أنت فتنح، أقصد لعلك تسلم من بعض شره، وهذا صحيح، ويقولون علاج الحسد الصبر عليه، والصفح، والمداراة، والتحمل، وما تدري إلا وقد دفع الله الشر، ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْنِئُ الْجَاهِلِينَ﴾ [القصص: ٥٥]، وقال تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

## الانتقال إلى المكان تستطيع أن تعبد

الله ﷻ بغير ضيم

قال النازم رحمه الله :

(١٠٢) وَمَنْ لَكَ بِالسَّلَامَةِ فِي زَمَانٍ  
(١٠٣) وَلَا تَلَبَّثْ بِحَيٍّ فِيهِ ضَيْمٌ  
(١٠٤) وَغَرَّبْ؛ فَالْغَرِيبُ لَهُ نَفَاقٌ  
يُنَالُ الْعِصْمَ إِلَّا إِنْ عَصِمْتَ  
يُمِيتُ الْقَلْبَ إِلَّا إِنْ كُيِّلْتَ  
وَشَرَّقْ إِنْ بِرَيْقِكَ قَدْ شَرِقْتَ

**قوله (وَمَنْ لَكَ بِالسَّلَامَةِ فِي زَمَانٍ... إلخ)** يعني: من لك بالسلامة في زمان كثرة فته، وكثرة الأهواء فيه، فالسلامة قليلة في هذه الأزمنة، وهو ينقل في زمانه فكيف بأزمنتنا هذه، نسأل الله العافية، ينال العصم إلا إن عصمت: إلا أن عصمك الله، فإذا عصمك الله من الفتن فإنك محفوظ بحفظ الله، ومدلول ذلك حديث عن ابن عباسٍ قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا فَقَالَ: «يَا غُلَامُ، إِنِّي أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ: أَحْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، أَحْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ» رواه الترمذي.

**قوله (وَلَا تَلَبَّثْ بِحَيٍّ فِيهِ ضَيْمٌ... يميت القلب إلا إن كُيِّلْتَ)** معناه: لا تصبر على الضيم في مكان لا تطيقه، بل حاول أنك تتنقل من هذا المكان إلى مكان تستطيع أن تعبد الله ﷻ بغير ضيم، بغير تضيق عليك، وتكون في سعة في دينك وما كان من ذلك، وأرض الله واسعة، والضيم هنا: التضيق.

فإن الضيم يسبب القلق، والضجر، والضييق، وربما أصابت صاحبه أمراض، والضيم: هو الغضب والقهر، كما في الحديث: عَنْ جَرِيرٍ قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ؛ إِذْ نَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، قَالَ: «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرُونَ هَذَا الْقَمَرَ، لَا تَضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَصَلَاةٍ قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ فَافْعَلُوا». **متفق عليه.**

لا تضامون في رؤيته: أي لا يصيبكم ضيم، ولا شدة، ولا ضجر، وهو يعبر بأن الضيم يضر القلب، مرة بعد مرة، بعد مرة، قد يصاب بأمراض فلا يستسلم لذلك الضيم بل يهدئ باله، ويؤمن بقدر الله، ويتوكل على الله، قال تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣].

وهذا الضيم غالبا من ضعف الإيمان، وإذا قوي الإيمان ارتاحت النفس، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

ونظير هذا قول الشافعي رحمه الله:

وَلَا تَكُنْ مِنْ فِرَاقِ الْأَهْلِ فِي حُرْقٍ	أَرْحَلَ بِنَفْسِكَ مِنْ أَرْضِ تَضَامٍ بِهَا
وَفِي التَّغَرُّبِ مَحْمُولٌ عَلَى الْعُنُقِ	فَالْعَنْبَرُ الْخَامُ رَوْثٌ فِي مَوَاطِنِهِ
فِي أَرْضِهِ وَهُوَ مَرْمِيٌّ عَلَى الطَّرِيقِ	وَالْكَحْلُ نَوْعٌ مِنَ الْأَحْجَارِ
فَصَارَ يُحْمَلُ بَيْنَ الْجَفْنِ وَالْحَدَقِ	لَمَّا تَغَرَّبَ حَازَ الْفَضْلَ أَجْمَعُهُ

**وقوله (إلا إن كلبتا):** إلا إن حصرتا، صرت مكبلا محبوسا، فتلبث مضطرا، كما قال تعالى: ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعِفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٩٨]. فالذي لا يستطيع التحول من أرض يضام

بها، ويتعب فيه دينه، وإلا فإنه يتحول ليقيم دينه، وليريح نفسه بقدر المستطاع.  
**قوله (وَعَرَبٌ؛ فالغريب له نَفَاقٌ... وَشَرٌّ إِنَّ بَرِيْقَكَ قَدْ شَرِقْتَ) له نَفَاقٌ:**

أي له قيمة، وتقول سلعة نافقة، يعني مقبولة، فالغريب له قبول،

وغرب: أي اغترب، معناه أنه في الغربة قد تجد من يقبل منك ويقبلك.



## الحث على الزهد في الدنيا

قال النازم رحمه الله :

(١٠٥) فَلَيْسَ الزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا خُمُولًا لَأَنْتَ بِهَا الْأَمِيرُ إِذَا زَهَدْتَ  
(١٠٦) وَلَوْ فَوْقَ الْأَمِيرِ تَكُونُ فِيهَا سُمُوًّا وَافْتِخَارًا كُنْتَ أَنْتَا  
(١٠٧) فَإِنْ فَارَقْتَهَا وَخَرَجْتَ مِنْهَا إِلَى دَارِ السَّلَامِ فَقَدْ سَلِمْتَ  
(١٠٨) وَإِنْ أَكْرَمْتَهَا وَنَظَرْتَ فِيهَا بِإِجْلَالٍ فَنَفْسُكَ قَدْ أَهْتَا

**قوله ( فليس الزهد في الدنيا خمولا.. لأنت بها الأمير إذا زهدتا )**

الزهد ترك ما لا ينفع في الآخرة، ولكن لأنت بها الأمير إذا زهدتا، بحيث أنك كنت زاهدا فيها، ولست خاملا، الخمول ما هو مطلوب شرعا، وإنما المطلوب الزهد، المذموم كونه خاملا من حيث العبادة، ومن حيث القيام بشئونه، ومن حيث التفهم، هذا ما هو محمود، بحيث أنه لا يحاول أن يفهم الأمور بحقائقها.

**قوله (ولو فوق الأمير تكون فيها.. سُمُوًّا وافتخارا كنت أنتا) سموا:**

ارتفاعا، وهو يحثه على مكارم الأمور، وأنه لا يرضى بالخمول.

**قال النازم (وإن فارقتها وخرجت منها... إلى دار السلام فقد**

**سَلِمْتَ)** وإن فرقتها: أي خرجت من الدنيا وأنت سالم منها فأنت السالم، وأنت المكرم من الله، أن تخرج من هذه الدنيا لا لك ولا عليك، أقل ما فيه أن ما عليك ذنوب، وربك غفور رحيم، دار السلام: الجنة.

**قوله (وإن أكرمتمّها ونظرت فيها.. بإجلالٍ فنفسك قد أهنتا) الذي يكرم الدنيا تهينه، وينظر إليها بإجلال تهينه، وفي الحديث، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تَعَسَّ عَبْدُ الدِّينَارِ وَالدَّرْهَمِ وَالْقَطِيفَةِ وَالْخَمِصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رِضْيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ» متفق عليه.**

فالنظر إلى الدنيا بإجلال مذلة، والنظر إليها بعدم إجلال، وإلى الآخرة بإجلال -نسأل الله التوفيق- هذا الذي يرفع الله به العبد، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِآتٍ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقْنِلُون فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١].



## الخاتمة وذكر سبب طول العتاب

قال الناظم رحمه الله :

(١٠٩) جَمَعْتُ لَكَ النَّصَائِحَ فَاُمْتَثِلْهَا      حَيَاتَكَ فَهِيَ أَفْضَلُ مَا امْتَثَلْتَا  
(١١٠) وَطَوَّلْتُ الْعِتَابَ وَزِدْتُ فِيهِ      لَأَنَّكَ فِي الْبَطَالَةِ قَدْ أَطَلْتَا  
(١١١) فَلَا تَأْخُذْ بِتَقْصِيرِي وَسَهْوِي      وَخُذْ بِوَصِيَّتِي لَكَ إِنْ رَشِدْتَا

قال الناظم: ( جَمَعْتُ لَكَ النَّصَائِحَ فَاُمْتَثِلْهَا .. حَيَاتَكَ فَهِيَ أَفْضَلُ مَا

اُمْتَثَلْتَا ) أي طيلة حياتك، خذ بها، ولازمها، واستمر عليها حياتك فهي أفضل ما امتثلت، وفعلا نشهد أنه قد جمع نصائح مهمة ومفيدة، نحن استفدنا منها، وغيرنا، يأجره الله، وهنيئا لمن سخر شعره، ونثره، وكلامه في طاعة الله.

ولقد نصحتك إن قبلت      والنصح أغلى ما يباع ويوهب

قوله ( وَطَوَّلْتُ الْعِتَابَ وَزِدْتُ فِيهِ ... لَأَنَّكَ فِي الْبَطَالَةِ قَدْ أَطَلْتَا ) طولت

في القصيدة وجعلتها مائة واثنى عشر بيتا لأنك طولت في البطالة، وعدم الإقبال على شأنك، وعدم الحرص على ما ينفعك، والميل إلى الدنيا قد أطلت، فأنا عابتك أكثر، والعتاب على قدر الميل.

قوله: ( فَلَا تَأْخُذْ بِتَقْصِيرِي وَسَهْوِي ... وَخُذْ بِوَصِيَّتِي لَكَ إِنْ رَشِدْتَا )

يقول: هَبْ أنني مقصر، أنا أيها الناصح لك، فلا تغتر بتقصيري، فلو رأيت عالما يتصور فلا تأخذ بتقصيره، وأنه قد تصور فلان لا، خذ بالأدلة، وهو نصحك



أنك تترك التصوير وذكر لك الأدلة فالحمد لله أفادك، وإن حصل منه تقصير  
وتصور فلا تجعل من فعله حجة، اجعل الدليل حجة عليك وعليه، ولا سيما  
وقد وجهك بذلك، فالتقصير محسوب على صاحبه، والحجة كتاب الله وسنة  
رسوله ﷺ، وأنا وأنت وسائر البشر عدا المعصوم ﷺ، ملزم بالدليل، فمن  
وافق الدليل فهو المصيب، ومن أخطأ فخطأه محسوب عليه، وربك غفور  
رحيم، المؤمن الذي اجتهد فأخطأ، الخطأ لا يُتابع عليه.



قال الناظم رحمه الله :

(١١٢) وَقَدْ أَرَدْتُهَا سِتًّا حَسَنًا وَكَأَنْتَ قَبْلَ ذَا مِائَةٍ وَسِتًّا

يعني كانت مائة وستة أبيات، فزادها ستا من النصائح إلى أن أوفاهها مئة واثنى عشر بيتا، فصار هذا البيت خاتمة منظومته التائية الرائعة، نسأل الله أن يرحمه وأن يجزيه خيرا على هذا النظم الطيب المبارك المفيد.

وأنا أوصي إخواني؛ بأن ينظموا في أهوال يوم القيامة، وينظموا في الجنة والنار، وينظموا في الموت، وأن ينظموا في السنة ومدح السنة، وأن ينظموا في التوحيد، وفي الحث على التمسك بالعلم وفضل العلم، وفضل أهله، وأن ينظموا فيما كان من مكارم الأخلاق وحسن الجوار، وسائر ما كان من علم ولك قدرة أن تنظم فيه فانظم، يدوم هذا النظم وأن ينظموا في النفاخ عن الهدى وأهله، وما كان من خير، قال تعالى: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ۚ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ۚ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ۚ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْنَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا ۗ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ۚ﴾ [الشعراء: ٢٢٤ - ٢٢٧].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ۚ﴾ [فاطر: ١٥]، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ ۚ﴾ [محمد: ٣٨].

انتهت هذه المنظومة وشرحها،

والحمد لله.

## الفهرس

المقدمة.....	٥
بيان حال الإنسان في هذه الحياة الدنيا.....	٧
بيان أن الموت ليس منه مفر.....	٩
اتخاذ الصالحين الدنيا ممراً للآخرة.....	١٠
التحذير من الغفلة.....	١١
الحث على الزهد.....	١٣
التأسي بالصالحين في بذل النصيحة النافعة.....	١٥
ذكر بعض فضائل العلم النافع.....	١٧
من صفات العلم النافع.....	٢٤
بذل العلم من أسباب الحفاظ عليه ونماؤه.....	٢٨
صفات طالب العلم الموفق من الله.....	٣٠
قوت الروح.....	٣٤
الحث على المداومة على العلم والعمل.....	٣٦
التحذير من مصائد الشيطان.....	٣٩

- لمن نال شيئاً من العلم ..... ٣٩
- تقوى الله رأس العلم وأفضل ثيابه ..... ٤٣
- مصير من لم يعمل بالعلم النافع ..... ٤٧
- لزوم سلوك طريقة السلف الصالح لفهم الكتاب والسنة ..... ٥٠
- التحذير من العجز والكسل ..... ٥٢
- عواقب ترك نصيح الناصحين ..... ٥٥
- الاحتفال بالمال عن العلم النافع والدين خسارة ..... ٦٠
- بقاء العلم وانتفاع صاحبه به بعد موته ..... ٦٣
- تشيد الساكن أنفع من تشيد المساكن ..... ٦٥
- جهل من فضّل العلم على المال ..... ٦٧
- تفضيل العلم على المال من جميع جوانبه ..... ٧١
- معرفة ما عند الله تغني الفقير ..... ٧٢
- التأكيد على أهمية قبول النصيح ..... ٧٤
- حقيقة الدنيا ..... ٧٦
- التعجب ممن يحب الدنيا وهي سجنه ..... ٧٨
- التذكير بالموت والاستعداد لما بعده ..... ٨٢
- العاقل من اتعظ بغيره ..... ٨٧

- ٨٩ ..... كن في الدنيا كأنك غابر سبيل
- ٩٠ ..... العزاء يكون لفوات الطاعة الباقية
- ٩٠ ..... لا لفوات الدنيا الفانية
- ٩٤ ..... التحذير من لهو القلوب والغفلة عن الغيوب
- ٩٦ ..... الأمر بطلب التوفيق من الله والاحلاص فيه
- ٩٨ ..... آداب الدعاء وأسباب استجابته
- ١٠٣ ..... الأكثر من ذكر الله وعدم التسويف
- ١٠٤ ..... توجيه الناظم النصيحة لنفسه
- ١٠٨ ..... الابن الصغير يعظ الأب الكبير
- ١١٠ ..... معاتبة من لازم الصالحين ولم يتأثر بهم
- ١١١ ..... نداء الكتاب ونذير الشيب
- ١١٤ ..... عدم الأمن من مكر الله
- ١١٦ ..... الخوف من حبوط العمل
- ١١٩ ..... صل أمر الله ولا تصر على المعاصي يصلك بالتشيت
- ١٢٣ ..... سل الله يعاملك بفضله ولا يعاملك بعدله
- ١٢٥ ..... يوم الفصل
- ١٢٨ ..... شدة نار جهنم

- المعايب تورث الإنسان مقتاً..... ١٣٠
- فضل الطاعات والنشأة عليها..... ١٣٢
- شؤم المعاصي..... ١٣٦
- فضل العزلة عن المعصية وأهلها ومكانها..... ١٣٩
- الانتقال إلى المكان تستطيع أن تعبد الله ﷻ بغير ضيم..... ١٤١
- الحث على الزهد في الدنيا..... ١٤٤
- الخاتمة وذكر سبب طول العتاب..... ١٤٦
- الفهرس..... ١٤٩